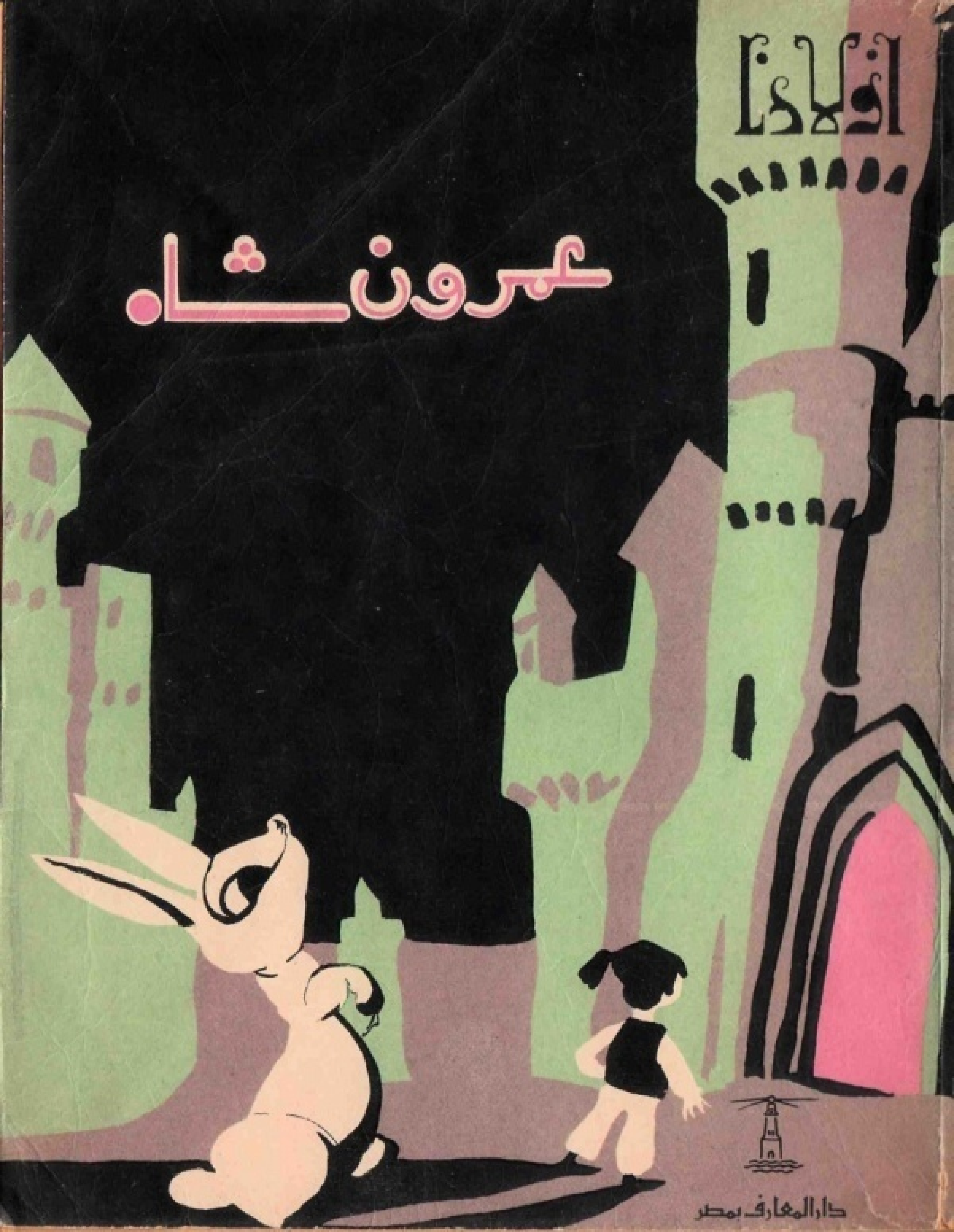

أولادنا
عمرون شاه
دار المعارف بمصر

عَمْرو زِشاه

أولادنا

١

عَمِرُون شاهُ

بقلم : محمد فريد أبو حديد

الطبعة التاسعة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

اولادنا

لا نظن هناك رأياً يصور منزلة الأولاد من الآباء ، أصدق من قول الشاعر العربي :

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشى على الأرض

فان كان لأولادنا هذه المنزلة فى نفوسنا ، فما أحرانا أن نوفر لهم فى الحياة ، كل أسباب الحياة ، مادية كانت أم عقلية .

ولا خفاء أن الحياة العقلية ، هى أوطد أركان السعادة ، فيتقاضانا حبنا لأولادنا ، أن نمهد لهم سبل تلك السعادة ، فنحبب إليهم الكتاب الصالح ، ليقبلوا عليه صغاراً ، ويتعلقوا به كباراً ، حتى تنعقد بينهم وبينه أواصر صداقة متينة ، ترهف إحساسهم وشعورهم ، وتصقل أذواقهم ، وتنمى ملكاتهم ، وتحليهم بسمو النفس ، بحيث تجعل من كل واحد منهم ، رجلا كاملا تزهى به الفضيلة ، ويعتز الوطن .

ولعل القصة هى أول ما يسترعى عناية المربين ، لأنها الدرجة الأولى

من سلم المعرفة ، فتختلف غاياتها وأساليبها ، باختلاف مراحل التعليم التى يمر بها أولادنا .

والمكتبة العربية ، على ما فيها من نفائس القصص الصالحة للنشء ، لا تزال مفتقرة إلى المزيد من عناية الأدباء والمربين ، فاستخرنا الله فى ملء جانب من جوانب ذلك الفراغ وأنشأنا هذه المجموعة بعنوان : « أولادنا » .

ولقد قصدنا بهذا العنوان ، أن يكون للآباء تذكرة بمطالب أبنائهم ، وللأبناء تبصرة فى فضل آبائهم عليهم . وعنينا فى هذه المجموعة ، بأن تكون — مؤلفة كانت أم مترجمة — نعم المهذب والمربى ، يقرؤها الفتيان والفتيات ، فتنجلى لهم فيها أنوار الحقائق ، وآفاق الخيال ، خلل المتعة واللذة والتسلية .

ولقد عهدنا إلى حضرة المربى الكبير ، الأستاذ محمد فريد أبو حديد ، عميد معهد التربية ، فى الإشراف عليها . وما من شك فى أن خبرته وكفايته كفيلتان بأن تقدما إلى أولادنا ، كل ما يسر وينفع .

مارس سنة ١٩٤٧ دار المعارف

١

خرج عمرون من منزله وهو حزين ، يحس كأن الدنيا ضيقة ، ولا يدرى أين يذهب فيها . فقد صبحته جدته عند ما صحا من نومه قائلة :

ـ أنت لا تصلح لشيء .

ففرك عينيه وقال لها :

ـ هل أخطأت فى شيء وأنا نائم ؟

فقالت له :

ـ أما ترى الشمس قد طلعت من زمن؟... أنت لا تحسن إلا النوم : أرسلتك إلى المدرسة فلم تفلح ، وذهبت إلى التاجر فلم تتعلم تجارة ، وبعثتك إلى الخياط فهربت ، ثم إلى النجار وإلى الحداد فلم تبق يوماً واحداً .

فنزلت الدموع من عينيه ، وامتلأ قلبه غماً فصاحت به جدته :

ـ اذهب من وجهى أيها الولد الذى لا يصلح لشيء . فما أنت فى الحقيقة إلا « عقلة أصبع » كما يسمونك ، ولا فائدة فيك .

فذهب من أمام جدته حزيناً ، والدنيا سوداء فى عينيه ، حتى خرج من المنزل وهو لا يدرى أين يذهب .

وكان يفكر وهو سائر فى أنه لم يذق طعاماً ، ولكن حزنه شغله عن الطعام ، وأخذ يسأل نفسه : « أين أذهب ؟ »

والحقيقة أنه لم يعرف مكاناً يذهب إليه ، لأنه كان كلما ذهب إلى مكان نظر إليه من رآه وقال له : « كيف أنت يا عقلة الأصبع؟ » . وكان يغضب كلما سمع هذا النداء ، ويتمنى لو أصبح ضخماً قويًّا يخشاه الجميع ، ولا يضحكون منه ، ولا يسمونه بهذا الاسم القبيح .

ونظر إلى ظله وهو سائر فوجده طويلا ، فجفف دموعه بمنديله ، ودخل السرور إلى قلبه وقال :

— أليس هذا كله ظلى ؟ أليس هذا ظلى أنا ؟

ثم رفع رأسه واتجه إلى رصيف على ناصية الشارع ، وجلس على حجر منه ، وأخذ يهز رجليه . وبعد قليل نسى حزنه ، ونسى جدته ، وأخذ ينظر إلى الناس وهم يسيرون بعيداً عنه ولا يلتفتون إليه. وكلما رأى منهم رجلا يعرفه ناداه باسمه من بعيد ، ثم انكمش . فيلتفت الرجل حوله ثم يسير فى طريقه عندما لا يرى أحداً ، فيضحك عمرون مسروراً .

ولكنه أحس الجوع يقرصه ، فأراد أن يسلى نفسه عنه ، فأخذ يصفر ويغنى ، ولكن ذلك لم يفده شيئاً . ففكر فى الرجوع إلى المنزل ولكنه تذكر أقوال جدته فعاد إليه الحزن ووثب نازلا عن الحجر ، وسار حائراً ، ثم وقف فجأة ، وجمد فى مكانه لأنه رأى « الحاج محمد » الخياط يمر قريباً منه .

وكان رجلا أحدب نحيفاً أصفر الوجه ، له عينان تلمعان فى خبث .

والتفت « الحاج محمد » إليه ، وابتسم ابتسامة صفراء ، وقال له :

ــ ماذا تصنع هنا يا عقلة الأصبع ؟ أليست لك شغلة غير الجلوس هنا ؟

فصاح عمرون غاضباً :

ــ لست عقلة الأصبع . قلت لك إننى لست عقلة الأصبع .

فضحك الرجل وقال :

ــ فما اسمك اليوم ؟

فخبط عمرون برجله على الأرض قائلا :

ــ اسمى عمرون .

فضحك الخياط مرة أخرى وقال وهو يسير :

ــ نهارك سعيد يا عمرون شاه .

فنظر عمرون إلى ظهره الأحدب ، بعد أن سار ، وأراد أن يشفى غليله فقال بصوت هامس :

ــ نعم ! أنا عمرون شاه ، ولست خياطاً أحدب مثلك .

ولكن الرجل لم يسمع شيئاً ، ولم يلتفت إلى ورائه .

وسار عمرون يصفر ، وهو راجع إلى المنزل ، ولكنه سمع صوت صياح من بعيد ، فوقف يتلفت حوله ، فرأى فى آخر الشارع جمعاً من الأولاد يجرون مسرعين ، فجرى نحوهم ، حتى بلغ آخر الشارع ، فرأى دائرة كبيرة

من الأولاد يتزاحمون ويضحكون . فأسرع نحوهم ودخل بينهم ، وكان طوله لا يزيد على شبرين ، فلم يجد صعوبة فى أن ينفذ إلى الصف الأول . وما كان أعظم فرحه عند ما رأى فى وسط الحلقة ساحراً يضع أدواته أمامه ، وهى علب كثيرة ، وجراب وعصا قصيرة ، وقوقعة صفراء كبيرة ، وأشياء أخرى غريبة الأشكال .

فصفق بيديه وصاح مسروراً وهو يقفز ، فالتفت إليه الولد الواقف إلى يمينه قائلا :

ــ مالك تدوس رجلى !

ونظر إليه الآخر الذى على شماله قائلا :

ــ ابعد عنى قليلا يا أخى !

ودفعه بكوعه إلى الوراء .

فصاح عمرون :

ــ لا تدفعنى هكذا !

فلما سمع الولدان صوته عرفاه وصاحا قائلين :

ــ أهو أنت ؟ أهو أنت يا عقلة الأصبع ؟

فاغتاظ عمرون وأخرج رأسه من بين الولدين وصاح قائلا :

ــ لست عقلة الأصبع .

ثم ضرب الأرض برجله . وكان صوته عالياً جداً حتى إن الحلقة

كلها سمعته ، فصاح الأولاد جميعاً :

ـــ هل عقلة الأصبع هنا ؟

ثم ضحكوا فى نفس واحد ، وانصرفوا عن الساحر والتفوا حوله . فاغتاظ عمرون غيظاً شديداً، ولكن الضحك استمر ، وكان عالياً مرحاً ، فلم يتمالك نفسه وأخذ هو أيضاً يضحك معهم، واستمر يضحك حتى بعد أن سكتوا جميعاً . ثم نفخ الساحر بقوقعته فعاد الأولاد والتفوا مرة أخرى حوله . وانتهز عمرون هذه الفرصة فوقف معهم واضعاً يديه فى جيبيه .

ورفع الساحر عصاه ونفخ فى القوقعة مرة أخرى، وبدأ يعرض العجائب التى عنده واحدة بعد واحدة ، وكانت مدهشة حقاً . فقد وضع الساحر أمامه بيضة وغطاها بعلبة ، ثم أشار بعصاه إليها ورفع العلبة فخرج منها « فروج » يجرى على الأرض . ثم أخذ « الفروج » ووضعه فى حق صغير ، ثم وضع فوقه علبة كبيرة ، ورفع عصاه ونفخ فى القوقعة ، حتى خرج منها صوت عال ، ورفع العلبة ، فخرج منها أرنب يقفز فوق الأرض . ثم أخذ الساحر الأرنب من أذنيه ، فاهتز وصاح خائفاً ، فوضعه الساحر فى سلة صغيرة ، ثم وضع فوقها قفة كبيرة ، ونفخ فى القوقعة ، وكشف القفة فخرجت معزى صغيرة تمأمئ وتجرى .

فأمسك الساحر المعزى من قرنيها ، وأعادها تحت القفة ، ثم نفخ فى القوقعة ، ورفع القفة فكانت فارغة ليس فيها شىء . ثم رمى عصاه على

الأرض، وأشار إليها بيده، فإذا هي ثعبان يتلوى على الأرض، ويتجه نحو الإولاد. فجروا جميعاً وصاح عمرون وهو يجرى : «أمسكوه من ذيله».

فأسرع الساحر وأمسك الثعبان، ونفخ في القوقعة، فنظر عمرون وراءه، وهو يجرى، فرأى العصا في يد الساحر، وهو يهزها. فصاح بالأولاد قائلا :

— ارجعوا. لا تخافوا. صار الثعبان عصا مرة أخرى.

فعاد الأولاد ووقفوا في حلقة كما كانوا، وأخذ الساحر العصا فغرزها في الأرض، ثم نفخ في القوقعة، فإذا العصا تصير شجرة خضراء، لها فروع كثيرة، وخرجت زهور بيضاء من أحد الفروع، ثم خرجت زهور صفراء من فرع آخر، وخرجت من الفروع الباقية زهور حمراء، وزهور زرقاء، ومن كل الألوان. فكانت شجرة عجيبة لم ير أحد مثلها. وصاح الساحر قائلا :

— أقفلوا أعينكم.

فأقفل الأولاد عيونهم جميعاً، ولكن عمرون فتح نصف عينه اليسرى فرأى أن الشجرة صارت عصا سمراء، وذهب الساحر إليها فرفعها من الأرض. ولما انتهى الساحر من ذلك أخذ طربوشه الأحمر وقلبه في يده مثل الطبق، وكان له زر أزرق طويل يتدلى منه إلى أسفل، ودار على حلقة الأولاد يجمع منهم النقود. وأراد عمرون أن ينصرف قبل أن يصل الساحر


DIK.

إليه ، لأنه تذكر أنه اشترى بالقرش الذى كان معه بالأمس بعض الفول السودانى ، وهم بالسير ، ولكنه رأى فجأة زر الطربوش أمام عينيه يهتز . فخجل وأخذ يبحث عن نقود فى جيبه ولكنه لم يجد فيه شيئاً . فأخرج يده وبدأ ينظر إلى الأرض باحثاً . فقال له الساحر :

ـ ماذا تفعل يا عقلة الأصبع ؟

فرفع عمرون رأسه عالياً وقال بغضب :

ـ ألا ترى أننى أبحث عن القرش ؟

فمد الساحر يده إلى أنف عمرون ونفخ فى القوقعة ، ثم فتح يده فإذا بالقرش فيها يلمع كالفضة .

فمد عمرون يده ليأخذه ، ولكن الساحر أسرع فأقفل يده عليه .

فقال عمرون : خذ منه نصفاً وهات الباقى .

فقال الساحر ضاحكاً : ليس معى فكة .

ثم ذهب يجمع النقود من الأولاد الآخرين . ولما أتم جمع النقود أخذ يجمع أدواته ، وانصرف وهو ينفخ فى القوقعة فيخرج منها صوت عال .

ولم يرد عمرون أن يرجع إلى المنزل . فسار فى الشارع حائراً لا يدرى ماذا يفعل ، وأراد أن يسأل الأولاد الآخرين إلى أين يذهبون ، ولكنهم كانوا جميعاً قد بعدوا عنه . وكان قد وصل فى سيره إلى حديقة عامة ، ورأى عليها مقعداً حجرياً خالياً فقال لنفسه :

ـ الأحسن أن أجلس هنا قليلا لأفكر ماذا أعمل الآن .

ثم جرى نحو المقعد ، ووضع يديه فوقه ، ثم قفز إلى أعلى ، وجلس عليه ، وأخذ يهز رجليه مفكراً . ومضى على ذلك زمن حتى جاء وقت الغداء واشتد جوعه ، ولكنه خاف أن يعود إلى المنزل فيقابل جدته فتسأله أين كان . فرفع رجليه إلى فوق المقعد ومال فرقد عليه ، وقال لنفسه :

ـ الأحسن أن أستريح قليلا لأفكر وأنا راقد .

وكان يعرف أن الإنسان إذا أقفل عينيه وهو يفكر كانت أفكاره صافية لا يعكرها شيء . فأغمض عينيه .

وأخذت الأفكار تأتي إليه واحداً بعد واحد ، وهو راقد فوق المقعد وعيناه مقفلتان .



٢

لم يدر عمرون كيف حدث ذلك ولكنه رأى نفسه فجأة وهو يصعد على سلم البيت بأطراف أصابعه حتى وصل إلى غرفة نومه، ثم سار على أطراف أصابعه كذلك حتى وصل إلى سريره ، فصعد فوقه باحتراس حتى لا تصحو جدته، وكانت نائمة بعد الغداء . وغطى وجهه بالملاءة البيضاء مع أن الجو كان حارًّا . وكان بين حين وآخر يزيح الملاءة عن عينيه لينظر هل صحت جدته من النوم ، ولكنها كانت نائمة نوماً هادئاً عميقاً .

ثم رآها تأتى نحو سريره ، وكان الغضب ظاهراً على وجهها ، فغطى وجهه بالملاءة ، فأزاحتها بشدة وقالت له :

– أين كنت يا عقلة الأصبع ؟

فخاف من غضبها وقال :

– كنت هنا .

فقالت الجدة بصوت عال : قل لى أين كنت ؟
أنت لم تذهب إلى المدرسة طبعاً .

وكان عمرون لا يحب الكذب ، فقال لها بصوت منخفض :

ــ لا ياجدتى لم أذهب .

فقالت الجدة :

ــ ولم تحضر للغداء .

فقال عمرون : لست جائعاً .

ولكنه أحس جوفه يقرصه من الجوع فقال :

ــ ومع ذلك فأنا مستعد لأن آكل من أجلك يا جدتى العزيزة .

فصاحت الجدة غاضبة : أنا أنتظرك هنا طول النهار ، وأبكى خوفاً عليك ، وأنت تتركنى حزينة من أجلك !

ونزلت من عينيها الدموع ، حتى إن عمرون حزن من أجلها وأخذ يبكى .

وأزاحت الجدة الملاءة ، فظهر عمرون من تحتها بملابسه وحذائه ، فصاحت الجدة :

ــ وتنام أيضاً فوق السرير بحذائك ؟

فقام عمرون ونزل عن السرير وهو فى أشد الخجل ، وجلس فى ركن الغرفة ووضع يده تحت ذقنه .

فقالت الجدة : أهكذا تضيع وقتك ولا تذهب إلى المدرسة ؟ أهكذا تسبب الحزن لجدتك التى ليس لها فى الدنيا غيرك ، وليس لك فى الدنيا غيرها ؟

فزاد حزن عمرون من أجلها ، وصاح فى تأثر قائلا :

ـــ أعدك يا جدتى أننى سأذهب كل يوم إلى المدرسة ، وأنا آسف جدًّا لأن الساحر كان مدهشاً .

فصاحت الجدة : الساحر ! ؟

فقال عمرون بصوت مخنوق : نعم كان مدهشاً جدًّا .

فقالت الجدة : وأعطيته القرش الذى كان معك طبعاً .

فقال عمرون : الحقيقة أننى اشتريت به فولا سودانيًّا ، ولكن الساحر وجد القرش فى أنفى .

فقالت الجدة ضاحكة : فى أنفك ؟

فقال عمرون ضاحكاً وهو يصفق بيديه :

ـــ نعم فى أنفى . ولو ذهبت إليه يا جدتى العزيزة لأخرج من أنفك قروشاً كثيرة .

فقالت الجدة وهى تمسح على رأسه بعطف :

ـــ لا تعد إلى رؤية الساحر يا ولدى . أنت تعلم أنك صغير مثل عقلة الأصبع ، فإذا لم تتعلم فى المدرسة صرت لا تساوى شيئاً . فأنت لا تنفع فى شىء إلا إذا تعلمت ، فإذا تعلمت صرت غنيًّا . ومتى صرت غنيًّا صرت رجلا عظيماً . أليس كذلك يا عقلة الأصبع ؟

فقال عمرون حزيناً : لست أحب هذا الاسم يا جدتى العزيزة .

فقالت الجدة : أنت تعلم يا ولدى أننى نذرت إن عشت أن أسميك عقلة الأصبع . والحمد لله على أنك تعيش يا ولدى . فلماذا لا أسميك هكذا ؟

فقال عمرون وهو يخبط الأرض بقدمه :

– ولكنى عمرون . اسمى عمرون .

فقالت الجدة ضاحكة :

– تعال يا ولدى . أنت جائع بغير شك .

ثم أخذته من يده وذهبت به إلى حجرة المائدة ؛ وكان عمرون يحب العجوة المقلية بالزبدة ، فقدمت له منها طبقاً كبيراً مملوءاً ، وعليه قطعة كبيرة من اللحم ، فجعل يأكل ، ويأكل ، ونسى أنه كان غاضباً .

وبعد قليل وجد عمرون نفسه فجأة يمشى فى الشارع متجهاً نحو الحجر الذى كان جالساً عليه فى الصباح . وأراد أن يقفز ليجلس فوقه ، ولكنه وقف جامداً فى مكانه كأنه صار حجراً ، وفتح عينيه من الدهشة حتى وصلتا إلى قرب ذقنه ، وأحس برعشة تهز جسمه . وذلك لأنه رأى الساحر مقبلا نحوه من ركن الشارع ، وهو يحمل أدواته فى حزمة كبيرة مدلاة من تحت إبطه . وكانت عصاه فى يده اليمنى ، والقوقعة الصفراء فى يده اليسرى .

ولما اقترب الساحر منه وقف أمامه ضاحكاً وقال له :

ـ هل أنت هنا يا عقلة الأصبع ؟

فوقف عمرون فوق الرصيف وقال له :

ـ أرجوك يا سيدى أن لا تخاطبنى بهذا الاسم .

فقال الساحر ضاحكاً :

ـ ولكنى لا أريد أن أغضبك يا سيدى عقلة الأصبع .

فضرب عمرون الرصيف بقدمه وقال :

ـ إنك يا سيدى الساحر تهزأ بى ، وأنا لا أسمح لأحد بذلك .

فقال الساحر :

ـ لست أهزأ بك ، فإنى أراك طفلا مهذباً . ولو كان عندى طفل مثلك لكنت سعيداً ، فإنى أقدر على أن أضعك فى حق مثل هذا ، وأصنع بك عجائب مدهشة .

فصاح عمرون :

ـ هذا كلام لا أسمح به . لست أرنباً ولا معزى . أنا عمرون .

فقال الساحر فى هدوء :

ـ هذا اسم جميل يا سيدى العزيز عقلة الأصبع . ولكنه أسرع قائلا :

ـ أرجو المعذرة يا سيدى فإنى نسيت ، أقصد أن أقول يا سيدى عمرون . ولكن لماذا تغضب من اسمك الظريف ؟ هل تحب مثلا أن تسمى : « نخلة » أو « نبوت الخفير » أو « أبو طويلة » ؟



فقال عمرون : أبداً .

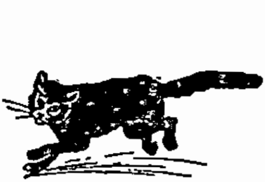
فقال الساحر : أنت فتى ظريف، وأنا مستعد أن أريك عجائب كثيرة من سحرى.

وقدم الساحر له القوقعة حتى صارت قرب فمه ، فأخذها عمرون فى يده ، وجعل يقلبها ويمسح سطحها الناعم . وأراد أن ينفخ فيها ، ولكنه لم يقدر أن يصفر بها ، فمد يده بها إلى الساحر وقال له :

— أرنى كيف تصفر بها ؟

فأخذها الساحر ونفخ فيها . وما كاد الصوت يخرج منها حتى رأى عمرون نفسه على ظهر سفينة عظيمة تسير فى البحر ، والموج يدفعها من كل جانب ، وهى تهتز مثل الريشة فى الهواء . وكادت تنقلب فى الماء ، فأسرع وتعلق بثوب الساحر ، فوضع الساحر يده على رأسه قائلا :

— لا تخف فأنا معك .



٣

استمرت السفينة تسير فى البحر مدة طويلة ، وأخذ الساحر يد عمرون وسار به على السطح الأعلى . وأخذ البحر يهدأ شيئاً فشيئاً ، حتى صار لون مائه أزرق صافياً جميلا . وكان عمرون يحب البحر طول حياته ، وكان يذهب أحياناً إلى أقارب جدته فى السويس ، وينزل فى الماء الذى يأتى كل يوم إلى البر ، وهو الذى يسميه الصيادون المد ؛ فإذا ارتفع الماء حتى صعد فوق الأرض الرملية مشى عمرون فيه بقدميه إلى أن يصل الماء إلى علو شبر فيبلغ وسطه ، وعند ذلك يعود إلى البر ثانياً ؛ وهو يجرى فى الماء كالبلطية الصغيرة . ولهذا شعر عمرون بسرور عند ما هدأ البحر وسارت السفينة فوق سطحه تتمايل برفق .

ورأى عمرون عبيداً كثيرين فوق سطح السفينة ، ووجوههم مثل الأبنوس اللامع ، وكانوا يلبسون جلاليب صفراء وأحزمة حمراء وعمائم زرقاء.

فقال عمرون للساحر :

— من هؤلاء ؟

فأشار الساحر إلى واحد منهم وقال له :

ــ خذ عقلة الأصبع وضعه فى حظيرة الأرانب .

وكانت هذه مفاجأة غير منتظرة ، فانحنى العبد وابتسم حتى ظهرت أسنانه البيضاء . ولم يستطع عمرون أن يقاوم أو يتكلم ، لأن العبد رفعه فوق يده حتى وصل به إلى حظيرة الأرانب ، ومال ليفتح الباب .

فقال عمرون :

ــ أرجوك يا سيدى أن تنظر إلى وجهى فأنا ولد .

فقال العبد باسماً :

ــ أنا عبد لا أنظر إلى الوجوه .

فقال عمرون :

ــ ألا تسمع صوتى ؟

فقال العبد :

ــ أنا عبد لا أسمع الأصوات .

فقال عمرون بغيظ :

ــ أقول لك إننى لست أرنباً .

فقال العبد وهو يجره إلى الباب :

ــ ادخل هنا . هكذا قال سيدى .

وترك يده عند ذلك ليفتح الباب ، فأسرع عمرون ووثب جارياً مسرعاً



فوق سطح السفينة ؛ وجرى العبد وراءه بساقية الطويلتين حتى كاد يمسكه ؛ وكان عمرون قد وصل إلى حافة السفينة، فوثب على جانبها ، وصعد فوق الحافة ، فرأى حبلا يتدلى على جانبها مثل السلم ، فأسرع ونزل فوقه. وكان ماهراً فى تسلق الأشجار من صغره ، يصعد فوقها وينزل بسهولة كما يمشى على الأرض . فلم يجد صعوبة فى التعلق بالحبل حتى قرب من الماء. ولما وصل العبد إلى حافة السفينة نظر من فوق فرأى عمرون فى آخر الحبل، وقد غمس قدميه فى الماء وأخذ يحركهما فيه .

فصاح العبد قائلا :

ـ أرجوك يا سيدى أن تنتظر . . . لقد عرفت أنك لست أرنباً .

فقال عمرون ضاحكاً : اذهب أنت فأنا مسرور هنا .

فقال العبد :

ـ أرجوك أن تصعد . هناك غرف أخرى كثيرة ، ولك أن تختار منها ما تشاء .

فقال عمرون صائحاً :

ـ أنا عمرون . أنا ولد . ألا تسمع ؟ أنا لا أوضع فى الحظائر .

وكان الساحر قد سمع الضجة ، فأتى مسرعاً ومال على حافة السفينة وصاح قائلا :

ـ تعال يا عمرون . اصعد وإلا وقعت فى الماء . أتحب أن تعيش مع التماسيح ؟

وكان عمرون يعرف التماسيح لأنه رأى واحداً كبيراً منها معلقاً فوق باب بيت .. وهي بغير شك قبيحة المنظر ، ولا يحب أحد أن يعيش معها. فنظر إلى أعلى ، ومالت رأسه إلى الخلف ، حتّى صارت مثل كرة معلقة من كتفيه ، وقال :

— وهل هنا تماسيح كثيرة ؟

فقال الساحر : انظر تحت قدميك وأنت ترى .

فلم ينتظر عمرون حتّى ينظر إلى تحت قدميه بل قفز إلى أعلى، وجعل يصعد بخفة فوق الحبل بيديه ورجليه ، حتّى وصل إلى سطح السفينة ، فأمسكه الساحر من كتفيه وقال له :

— أنت ولد شقّ .

فقال عمرون :

— ولكني لست أرنباً .

فقال الساحر :

— أنني أردت إكرامك بأن أجعلك تنام هناك .

فقال عمرون : ما شاء الله ، أتريد أن أنام مع الأرانب ؟

فقال الساحر ضاحكاً : إنها تنام على أسرة نظيفة .

فصاح عمرون : وهي طبعاً مغطاة بشعر الأرانب .

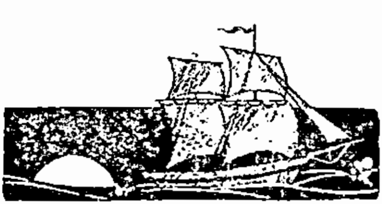
فقال الساحر : أبداً . عليها وسادات من الحرير .

فقال عمرون ضاحكاً : وتنام عليها بأرجلها حافية ؟

فقال الساحر ساخراً : هكذا الجهلاء دائماً . يتكلمون عما لا يعرفون .

فخجل عمرون من نفسه ، وسار إلى جانب الساحر ، حتى وصل إلى حظيرة الأرانب، وكان بابها لا يزال مفتوحاً، فانحنى قليلا ونظر إلى الداخل ، فرأى حقيقة أن هناك أسرة لطيفة عليها وسائد من الحرير بألوان مختلفة زاهية . فأسرع داخلا واختار سريراً وردى اللون ، وقفز فوقه وتمدد، فوجده مثل طوله تماماً . فقام وأراد أن يخلع نعليه لكى ينام قليلا ، ولكنه تذكر فجأة أنه لا يدرى لماذا جاء إلى هذه الحظيرة ، ولا لماذا ركب فوق هذه السفينة . فنزل عن السرير وذهب إلى الباب ليسأل الساحر عن ذلك، فوجده أغلق الباب ومشى بعيداً فنظر من ثقب الباب فرآه يمشى مسرعاً ، والعبد يسير وراءه مطأطئ الرأس . فهز رأسه أسفاً ، وذهب إلى السرير ، وخلع حذاءه ، وتمدد ليستريح قائلا :

— ما دمت قد صرت فى الحظيرة فلا مانع من أن أستريح .



٤

لم يقدر عمرون أن ينام ، لأن الأفكار ملأت رأسه . وتذكر جدته العزيزة التي لا بد أنها بحثت عنه طويلا ، وحزنت عليه .

وبينما كان يفكر حزيناً أحس يداً تلمس ركبته ، فتلفت فلم ير أحداً . فظن أنه كان يحلم، ثم عاد إلى أفكاره مرة أخرى ، وسأل نفسه : « لماذا تنام الأرانب فى هذه السفينة على أسرة لطيفة ، مع أنها لا تنام فى العادة إلا فى الجحور ؟ » وتمنى لو كان الفلاحون أهل القرى يجدون أحداً مثل هذا الساحر ليبنى لهم حظائر نظيفة مثل هذه التى تعيش فيها الأرانب فوق السفينة . وفى هذه اللحظة شعر بأن يداً تلمس ركبته مرة أخرى ، فأسرع ملتفتاً فوجد أرنباً واقفاً على قدميه الخلفيتين ، واضعاً يده اليسرى على حافة السرير ، ويشير بيده اليمنى إلى رأسه كما يفعل الجندى عند ما يحيى الضابط.

فتبسم عمرون له ، وسر سروراً عظيماً ، لأن هذه أول مرة يجد فيها أحداً يحييه باحترام ، وتمنى لو كان الناس جميعاً مؤدبين مثل ذلك الأرنب ؛

ولا يسلمون عليه بكبرياء . وقال للأرنب وهو باسم :

— نهارك سعيد مبارك يا حضرة الأرنب . هل تتكلم اللغة العربية ؟

فهز الأرنب رأسه ، وقال بلغة عربية فصيحة :

— نعم . أتكلم العربية جيداً ؛ فقد ولدت فى الشام .

فقال عمرون : كنت أظن الأرانب تتكلم لغة خاصة .

فقال الأرنب :نعم ، أنا أتكلم أيضاً لغتى ، ولكنى أظنك لا تفهمها .

فقال عمرون ضاحكاً : تكلم بلغتك قليلا لأرى هل يمكننى أن أفهمك .

فقال الأرنب : برر ! موء ! موء !

فضحك عمرون وقال : وما معنى هذا ؟

فقال الأرنب ضاحكاً : معناه : أرجو أن تكون بصحة صحة ، أو بقول آخر بصحة جيدة .

فسر عمرون من هذه اللغة الظريفة ، وقال : أرجو أن تعلمنى لغتك يا سيدى .

فقال الأرنب : يسرنى ذلك . اسمع : برر ! عىء ! عىء !

فضحك عمرون ضحكاً عالياً ، حتى خاف الأرنب ، ونزل عن حافة السرير ، واختبأ تحته وقال بصوت هادئ : هل أغضبك شىء يا سيدى ؟

فقال عمرون : لا أيها الصديق ، لم أغضب ، ولكنى أضحك . ماذا كنت تقول ؟ فعاد الأرنب ووقف مستنداً على حافة السرير وقال : كنت أقول لك أرجو أن أعرف اسمك .

فقال عمرون : اسمى عمرون . وما اسمك أنت ؟

فقال الأرنب : أنا أربعة وثلاثون .

فقال عمرون : أربعة وثلاثون ؟ وما معنى هذا ؟

فقال الأرنب : يعنى أن ترتيبى هنا الرابع والثلاثون . وما معنى اسمك أنت ؟

فقال عمرون وهو يهرش رأسه : عمرون يعنى عمرون . هو اسم . وهل يجب أن يكون للاسم معنى ؟

فقال الأرنب : وكيف يعرفك أصحابك إذا لم يكن لاسمك معنى ؟

فتردد عمرون وقال : لى اسم له معنى ، ولكنى لا أحبه .

فقال الأرنب ضاحكاً : وما هو ؟

فقال عمرون بصوت هامس : عقلة الأصبع . لكنى لا أحب أن تنادينى بهذا الاسم يا عزيزى .

فهز الأرنب رأسه وقال : وإلى أين أنت ذاهب ؟

فقال عمرون : لا أدرى . وإلى أين أنت ذاهب ؟

فقال الأرنب : إلى البلد .

وأحس عمرون بأن هناك حركة تحت السرير ، فأطل ليرى ما هناك ، فإذا به يرى عدداً عظيما من الأرانب يتزاحم ويطل بعضها برأسه من تحت السرير ثم يعود مسرعاً .

فصاح عمرون : يا سلام ! هؤلاء كلهم هنا ؟

وما كاد يقول هذه الكلمات حتى أسرعت الأرانب ، وجاءت تقفز حوله من كل جانب ، حتى اضطر إلى قطع الحديث ، وجعل يمسح على رؤوسها وشعرها الناعم الزاهى اللون. وجاء بعضها وجلس معه فوق السرير. ولكن الأرنب أربعة وثلاثون قال كلمة لم يفهمها عمرون ، ويظهر أنها كانت كلمة غاضبة ، لأن الأرانب أسرعت كلها وذهبت إلى أسرتها .

فقال أربعة وثلاثون : وهل أنت آتٍ معنا ؟

فقال عمرون : إلى أين ؟

فقال الأرنب : إلى البلد .

فهز عمرون رأسه وقال : لا أدرى . وماذا أرى هناك ؟

فقال الأرنب ضاحكاً : ماذا ترى هناك ؟ لن ترى شيئاً ، لأنك ستصير حجراً عند ماتضع قدميك فيها . ستصير حجراً يا سيدى عقلة الأصبع .

فقال عمرون فى شيء من الغضب : هل تسخر منى يا سيدى ؟ حاذر أن تقول لى عقلة الأصبع مرة أخرى .

فقال الأرنب : هذا اسم ظريف . ولا أقصد أن أسخر أبداً .


DIK

فقال عمرون هادئاً : وكيف تصير حجراً ؟

فقال الأرنب هامساً :

– حاذر لئلا يسمع الساحر . هو يأخذنا هناك ، ويحولنا إلى تماثيل حجرية ، فلا نأكل ولا نجرى ولا نرى شيئاً حتى يحتاج إلينا فى عرض ألاعيبه السحرية ، فينفخ فى القوقعة ، ويأتى الصوت إلينا فنطير فوق الصوت حتى ندخل بيته . أفهمت ؟

فقال عمرون وهو يهز رأسه : لم أفهم شيئاً . ومع ذلك فأين هذا البلد ؟

فقال الأرنب فى حزن : لا أدرى . هو هناك ! عند ما تقف السفينة ، ونصعد فوق الجبل وندخل من الباب الواسع الوردى اللون .

وعند ذلك سمع صرت باب الحظيرة يفتح ، فأسرع الأرنب يقفز على رجليه ويديه ، حتى وصل إلى سريره ، ونام وغطى وجهه بالملاءة البيضاء .

وسمع صوت الساحر ينادى : عمرون ! عمرون !

فلم يرد عمرون وغطى رأسه بالملاءة البيضاء .

فصاح الساحر : عقلة الأصبع !

فغضب عمرون وصاح : قلت لك إنى عمرون .

فقال الساحر :

– تعال فإن الأكل حاضر .

ولما سمع عمرون باسم الأكل وثب عن السرير ، وأسرع نحو باب

الحظيرة ، وكان يحس أن جوفه يقرصه من الجوع .

فلما وصل إلى الباب مال الساحر وأخذه من يده ، وسار به على سطح السفينة متجهاً نحو غرفة الطعام .

فسأله عمرون :

متى نصل إلى البلد يا حضرة الساحر ؟

فقال الساحر مدهوشاً :

ـ أى بلد ؟

فقال عمرون : هناك عند ما ترسو السفينة ونصعد فوق الجبل وندخل من الباب الوردى اللون .

فهز الساحر رأسه بغيظ ، وعرف أن عمرون كان ولا بد يتحدث مع الأرنب الذى أخبره بسر البلد السحرى ، فقال له :

ـ إنه أرنب ظريف . أليس كذلك ؟

فقال عمرون : كلهم ظرفاء جدًّا .

فلم يتكلم الساحر بعد ذلك ، ونزل من السلم إلى الدور الأول من السفينة ثم نزل إلى الدور الذى تحت الأول حتى وصل إلى حجرة مظلمة وقال له : انتظر هنا يا عمرون .

وخرج وأقفل الباب .

فصاح عمرون : أريد أن أعود إلى الحظيرة .

ولكن الساحر لم يجب وسمع عمرون حس رجليه وهو يسير بعيداً .

٥

شعر عمرون بضيق شديد عند ما رأى نفسه وحيداً فى هذه الغرفة ، واغتاظ من الساحر الذى سجنه هناك ، ولكنه قال لنفسه : « لا فائدة من الحزن ؛ ويجب على الإنسان أن يقابل الشدائد بشجاعة ، ويحاول أن يجد السرور فى وسط الشقاء » .

ولم يكن فى الحجرة إلا نوافذ صغيرة مستديرة تسع رأس عمرون ، فكان يخرج رأسه منها ، ويمد يده إلى الماء الصافى عندما يكون البحر هادئاً ، وصار يشعر بسرور عظيم عند ما يرى الأمواج الصغيرة والفقاقيع اللامعة التى تخرج على وجه الماء . وكان السمك يأتى حتى يقرب من يده ، فإذا حاول أن يقبض على واحدة ضربت ذيلها فى الماء وأسرعت بعيدة ، أو غاصت إلى القاع .

وأخيراً وصلت السفينة إلى بحيرة واسعة ، لونها مثل لون السماء الصافية ، وسطحها ساكن مثل سطح المرآة . وكانت جوانب البحيرة مغطاة من جميع الجهات بأوراق البشنين المستديرة الخضراء ، وتخرج منها زهور زنبق

الماء البيضاء الجميلة ، وزهور أخرى زرقاء وصفراء . وكانت الشواطئ تلمع برمالها الذهبية اللون ، والأشجار الخضراء تميل بفروعها على الماء ، وتلقى ظلها على الأرض . وكانت صور الأشجار مرسومة فوق سطح البحيرة بشكل يملأ القلب بهجة . فنسى عمرون كل أحزانه ، وأخذ يتأمل تلك المناظر البديعة ، وصار لا يتذكر الساحر ولا الأرانب ولا البلد المسحور ، حتى ولا جدته العزيزة التى تركها بعيداً فى وطنه .

وأخيراً شعر بباب الغرفة يفتح ، ورأى الساحر يدخل باسماً ، ومعه العبد يحمل طعاماً فى أطباق على (صينية) كبيرة من الفضة. فنظر إليه عمرون وقال له بغير أن يبتسم :

— أشكرك يا سيدى .

ولما رأى الطعام أمامه انفتحت نفسه ، فأكل من كل الأصناف ، وأعجبته العجوة المقلية فى الزبد فأكل منها كثيراً .

وجلس الساحر يتحدث معه مدة طويلة ، ووصف له البحيرة ، وما حولها من البلاد ؛ ووصف له الحيوانات الكثيرة التى كانت هناك مثل السبع والنمر والفهد والذئب وابن آوى والثعلب . وكذلك الظباء والوعول والحشرات الكثيرة ، والطيور المفترسة التى تأكل الحشرات والحيوان مثل النسر والعقاب والصقر والبومة ؛ والطيور الأخرى التى لا تأكل سوى الحبوب كالحمام واليمام والعصافير ؛ والتى تأكل الدود الصغير

والحشرات الصغيرة كالهدهد وأبى فصاده وأبى قردان . ومر الوقت سريعاً ؛ وكان عمرون يسمع وصف الساحر باهتمام عظيم ، وسأله أسئلة كثيرة ، والساحر يجيب عنها ؛ ولكنه لم يتكلم كلمة واحدة عن البلد المسحور ذى الباب الوردى اللون .

ووصلت السفينة فى المساء إلى طرف البحيرة فوقفت ، وطلع أمام عينى عمرون منظر جميل لم ير مثله فى حياته ؛ فقد كانت الجبال تحيط بالماء ، وتنعكس صورة صخورها الوردية على سطح البحيرة اللامع . وكانت فوق الجبال أشجار كثيرة تحمل كل الألوان من الأزهار الصفراء والحمراء والزرقاء والبيضاء ، والحشائش تغطى سفح الجبل مثل بساط من الحرير الأخضر. وكانت أنوار الشمس وهى تغرب تصبغ السماء ؛ فوق قمم الجبال ، بأنوار يعجز اللسان عن وصف جمالها . فنظر عمرون إلى هذا المنظر البديع ، وهو ساكت ، لا يلتفت إلى الساحر ، ولا إلى العبيد الذين كانوا يجيئون ويذهبون فى الممر الذى بجوار الباب .

ومن العجيب أن عمرون التفت بعد قليل إلى الساحر ؛ فلم يجده بجانبه ؛ فقام إلى الباب . فلم يمنعه أحد من الخروج .

فعاد إلى مكانه ، وأخذ ينظر إلى الجبال والأشجار والأزهار ، وتذكر جدته العزيزة التى كثيراً ما حكت له الحكايات ، ووصفت له مناظر الجنة التى يدخل الله فيها الطيبين من الناس الذين يفعلون الخير فى الحياة . وقال


Dim.

فى نفسه إن مناظر هذه البحيرة وما حولها تشبه مناظر الجنة، فكيف يمكن أن يدخلها ذلك الساحر، مع أنه كان رجلا محتالا، خدعه وسار به من بلاده، وترك جدته وحدها حزينة، تبحث عنه ولا تجده؟ ودمعت عيناه عند ذلك ولكنه قال لنفسه: «ما الفائدة من البكاء؟ فالإنسان — إذا وجد فى ورطة — كان عليه أن يفكر فى الخروج منها بدلا من ضياع وقته فى الحزن». ومسح عينيه، ونظر حوله يفكر فى حالته، ولكنه عند ما نظر إلى الجبال وجد الألوان البديعة التى كانت عليها قد اختفت، ودخل الليل فجأة، حتى كان لا يرى شيئاً أمامه سوى الجبل وقد صار مثل الحائط الأسود.

وشعر عند ذلك بقبضة فى صدره، لأنه كان لا يدرى ماذا يريد الساحر أن يفعل بعد ذلك، ولا أين يسير به فى اليوم التالى. ثم ظهر القمر بعد قليل من الأفق الشرقى، وكان فى أول الأمر أحمر اللون مثل قرص من النار، ثم أخذ يعلو فوق الأفق قليلا قليلا، وصار لامعاً، وأرسل أشعته فوق الشاطئ وعلى صخور الجبل؛ ولكنه كان يسير فى السماء وحيداً لا أنيس له، فقال عمرون فى نفسه: «ليت هذا القمر يعرف لغتى فكان يحدثنى وأحدثه لكى أبعد الوحشة التى أحس بها.»

وجاء إليه الساحر بعد قليل وقال له:

— انزل معى إلى البر، فاننا سنقضى الليلة فوق الشاطئ الجميل.

فقام عمرون وهو صامت، وخرج من الباب وراء الساحر، ولما

وصل إلى حافة السفينة سار فوق لوح عريض من الخشب حتى صار فوق الرمال . ورأى عليها خيمة عظيمة ، وعند مدخلها بساط كبير لم ير مثله من قبل ، وهو مزخرف بالرسوم البديعة من أنواع الأشجار والحيوان . ورأى فوق البساط مائدة واسعة ، عليها أطباق من الفضة، ونور القمر ينعكس عليها فتشع منها أنوار لامعة . والتفت الساحر إليه وقال :

ــ أظنك جائعاً يا عزيزى عمرون ؟

وكان عمرون لا يزال حانقاً على الساحر فلم يجبه ؛ واستمر ينظر إلى نور القمر الزاهى ، وإلى ماء البحيرة اللامع . ولكنه أحس بالجوع الشديد يؤلمه كأنه لم يذق شيئاً من الطعام منذ يوم ، وسأل نفسه : « ألم آكل منذ قليل وأنا فى غرفتى بالسفينة ؟ » وتعجب من أنه لم يشبع ، مع أنه أكل عجوة مقلية فى الزبد .

وهكذا بقى عمرون صامتاً ، يقلب عينيه فى الفضاء . فلم ينتظر الساحر جوابه، فجلس إلى المائدة ، وأخذ يكشف الأطباق واحداً بعد واحد . وكانت الأطعمة لذيذة الرائحة ، يفوح عطر البهار منها ، فلم يقدر عمرون على الصبر، وجلس بعيداً عن الساحر، وأخذ يأكل بشهوة عظيمة .

٦

كان منظر الجبال فى الصباح أبدع مما كان عند غروب الشمس ، فإن أنوار الشرق كانت تسطع على السفح فتغمره بالضوء اللامع ؛ وكانت ظلال الأشجار تتخلل النور فتجعل منظر الجبل مثل لوحة صنعها الرسام مبدع . وقام عمرون يمشى على الشاطئ حافياً ، وقدماه تغوصان فى الرمل الناعم النظيف ، يقرب أحياناً من شاطئ البحيرة ، ويغسل رجليه فى مائها الصافى ، ثم يعود أحياناً أخرى فيسير على الشاطئ ، وينظر إلى قدميه وقد كساهما الرمل بطبقة صفراء ، كأنها جورب من تبر الذهب .

واستمر سائراً على شاطئ البحيرة ، متنقلا بين الماء والرمل ، حتى وصل إلى لسان واسع من البحيرة داخل فى الشاطئ ، ورأى المياه الزرقاء الصافية والنسيم يجعد وجهها بموجات صغيرة ، فحدثته نفسه أن ينزل فيها ليستحم ، وأخذ يخلع ملابسه ، ولكنه تذكر فجأة أنه لا يعرف العوم ، فأسف أسفاً شديداً لحرمانه من الاستحمام ، فى هذه البحيرة الرائعة . ونظر حوله إلى سفح الجبل ، فرأى أنه زاد جمالا ، لأنه رأى عليه مجرى من الماء ، يتدفق فى

البحيرة ، نازلا من فوق الصخور البيضاء ، يندفع من شلال يبلغ علوه طول رجل ، ويحدث فى نزوله صوت خرير شديد ، ويتطاير منه الرشاش الأبيض مثل رغوة الصابون ، فإذا نزل إلى ماء البحيرة خرجت منه فقاقيع كثيرة مثل حبات اللؤلؤ اللامع ، تغطى سطح البحيرة . فوقف حيناً يتأمل هذا الشلال البديع ، ثم أحب أن يصعد على الجبل ليرى مناظر الوادى الذى تأتى منه مياه هذا النهر الصغير ، فلبس حذاءه بعد أن نفض الرمال عن قدميه، وأخذ يتسلق الصخور على يديه ورجليه كأنه معزى . وكان لهذه الصخور الناعمة ألوان بديعة ، فبعضها أحمر قان وبعضها وردى وبعضها أسود فاحم ، وكانت الحشائش الط ية تنبت فوقها ، والأشجار المختلفة تنمو فى الشقوق التى بينها ، وتتمايل مع هبوب النسيم . ولما صعد عالياً فوق الجبل نظر إلى أسفل الوادى ، فرأى البحيرة تلمع تحته على مسافة بعيدة ، والرمال الصفراء الذهبية اللون تحيط بها ؛ فجلس على صخرة ودلى رجليه ، وبدأ يغنى أنشودة كانت جدته تغنيها له — وهو صغير — عند ما كان يصحو من النوم :

من شط البحر الهادى   سار الملاح
وكان نور الصبح النادى   يحيى الأرواح
والديك ينادى صباح الخير   قوموا من النوم
قومـــوا من النـــوم   قوموا من النوم

ولما وصل عمرون إلى صياح الديك : « قوموا من النوم » قلد صوت الديك وجعل يضحك مسروراً . وأخذ يقلب نظره فى الجبل فرآه يصعد إلى السماء ولا يظهر له آخر ، حتى إنه خاف أن الشمس إذا جاءت إلى الغرب مرة أخرى فإنها لن تقدر على العبور فوقه ، وخطر له خاطر ، فقال فى نفسه : إنه سمع مرة فى المدرسة عند ما كان يذهب إليها أن القمر أقرب إلى الأرض من الشمس كثيراً ، وأنه يدور حول الأرض مرة فى كل شهر ؛ فسأل نفسه : لماذا لا يصعد فوق الجبل ، وينتظر حتى يأتى القمر إلى هناك فيقدر أن ينظر إلى وجهه من قريب ، حتى إذا رجع إلى وطنه أخبر زملاءه عما رآه على وجه القمر . وفكر أنه ربما قدر على أن يقفز إلى سطح القمر فيجول عليه جولة ، ثم يعود إلى قمة الجبل مرة أخرى . فقام وصعد فى الجبل متسلقاً فوق الصخور ، ولكنه تعب ، ونظر إلى أعلى فوجد أن الجبل لا يزال يمتد إلى السماء وليس له آخر . ففضل أن يؤجل الصعود إلى وقت آخر .

ونظر حوله فرأى فى الجبل فضاء واسعاً يشبه الميدان العظيم ، ورأى فى آخره فتحة كبيرة تشبه باب المغارة ، وعند مدخلها أعمدة عالية وردية اللون ، لكل عمود منها رأس يشبه زهرة البشنين .

فأحب أن ينظر ما فى هذه المغارة ، ووثب من صخرة إلى صخرة ، ولكنه تعب ، وتذكر أنه لم يأكل عند ما صحا من النوم ، فوضع يده تحت ذقنه مفكراً : هل يرجع إلى خيمة الساحر ليتناول الإفطار ، أو يقنع بأن


DIK

بأكل بعض الحشائش الطرية الكثيرة التى تنمو فوق الصخور ، كما تفعل الغزلان والأرانب الجبلية ؟

ومال على خصلة من النباتات الخضراء ، فقطف واحدة منها ، ومضغها فوجد أنها لذيذة تشبه طعم الخس ، وكان لها جذر حلو الطعم . فقطع خصلة أخرى ، ثم واحدة ثالثة ، حتى شعر بأن جوفه امتلأ ؛ وأخذ يقفز بعد ذلك من صخرة إلى صخرة ، حتى قرب من باب المغارة ، ولكنه لم يقدر على الوصول إليه لأنه وجد هناك شقاً عميقاً يمتد فى عرض الجبل من أوله إلى آخره ، وتمنى لو كانت ساقاه طويلتين حتى يمكنه أن يقفز ويعبر ذلك الشق.

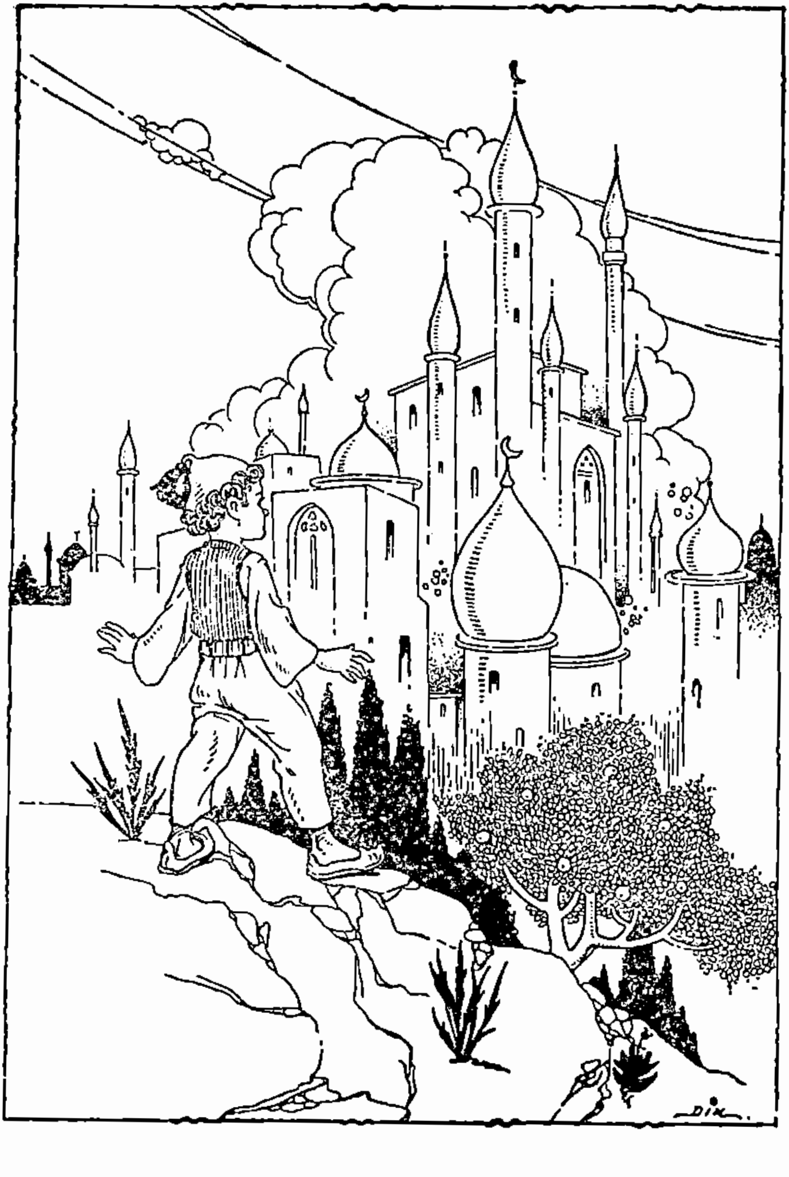
وأخذ يبحث عن مكان ضيق يقدر على العبور منه فلم يجده ، ولكنه وجد شجرة خضراء ذات أزهار زرقاء واقفة عند حافة الشق وتمد فروعها فوقه إلى الناحية الأخرى منه . وكان ماهراً فى صعود الأشجار ، فما هى إلا دقائق قليلة حتى كان الغصن يهتز تحته وهو يزحف فوقه . ونظر إلى أسفل ليرى عمق الشق ، وشعر بدوار فى رأسه عند ما وجد أنه عميق ليس له قرار ، بل ينتهى إلى ظلام شديد . فقال فى نفسه إن هذا الظلام لا بد أن يكون باطن الأرض ، وخشى أن يقع فيه ، لأنه كان يعرف أن باطن الأرض ساخن ، حتى إن الحجارة تكون فيه ذائبة مثل الحديد الذى ينصهر إذا وضع فى الأفران الحارة . وفكر أيضاً أنه إذا وقع فى ذلك الشق العميق فقد يجده نافذاً إلى طرف الأرض من الناحية الأخرى ، فيخرج منه

مندفعاً برجليه إلى أعلى ورأسه إلى أسفل ؛ وهذا بغير شك متعب له، وقد يراه الناس خارجاً من الشق على هذه الصورة فيسخرون منه ، وقد يصيح به بعضهم: « هذا عقلة الأصبع يخرج من الشق برجليه بارزتين إلى أعلى».
فأسرع فى زحفه حتى بلغ الناحية الأخرى من الشق ، وتعلق فى الغصن حتى نزل إلى الأرض سالماً . ولما ترك طرف الغصن من يديه قفز الفرع إلى أعلى واهتز فى الهواء بعيداً عن رأسه . ورأى أن شيئاً سقط معه على الأرض، فأخذه فى يده وقلبه فوجده ثمرة تشبه التفاحة فى لونها ، لها خد أحمر والآخر أصفر. وشمها فوجد لها رائحة زكية، فعض منها عضة فوجد طعمها حلواً، وهى ناعمة مثل الكمثرى . فأكل قطعة بعد قطعة حتى فرغ منها ، وندم على أنه لم ينتبه إلى أن يقطف عدداً كبيراً منها وهو فوق الشجرة ، وفكر فى أن يعود فيتسلقها ليقطف بعض ثمرها ، ولكنه وجد الأغصان عالية تهتز مع النسيم فوق رأسه . وخطر له عند ذلك أنه قد أصبح فى الناحية الأخرى من الشق ، فكيف يقدر على الرجوع إلى البحيرة ؟ ولكنه كان مشتاقاً لرؤية المغارة ذات الأعمدة الوردية اللون، فوضع يديه فى جيبه وأخذ يصفر لكى يذهب الخوف عن نفسه ، واتجه سائراً نحو باب المغارة .

٧

اتجه عمرون نحو الباب الواسع الوردى اللون ، وأخذ يتأمل الأعمدة الجميلة التى على جانبيه ، ورؤوسها التى تشبه زهرة البشنين . وكان هناك أربعة أعمدة على اليمين ومثلها على اليسار ؛ وكان سقف الباب قطعة عظيمة من المرمر ، عليها رسوم بديعة بالذهب ، فيها صور أنواع الحيوان والطير ، ورموز أخرى غريبة الأشكال . فوقع فى نفسه أن هذه هى البلدة المسحورة التى تحدث عنها صديقه أربعة وثلاثون . ودخل من الباب فوجد على يمينه ويساره صفين من الأعمدة يمتدان فى فضاء واسع ، فتذكر المعابد المصرية القديمة بالكرنك والأقصر . وسار بين صفى الأعمدة حتى وجد نفسه فى ميدان كبير ، فسار فيه ، وما كان أشد دهشته عند ما رأى أشخاصاً وحيوانات واقفة ثابتة فى مواضعها . فاقترب من ولد وبنت واقفين والكتب تحت إبطيهما ، فوضع يده على كتف الولد وقال له : « نهارك سعيد » .

ولكن الولد والبنت بقيا واقفين لا يتحركان ولا يلتفتان إليه ، فنظر إلى


Dix

وجهيهما فوجد عينيهما مفتوحتين لا ترمشان ، فهز كتف الولد برفق ، ولكنه وجد أنه حجر جامد. فحسب أنهما تمثالان ، وقال فى نفسه إن أهل هذه المدينة مهرة جداً فى فن النحت. وذهب إلى رجل فى ملابس الفلاحين يركب حماراً وامرأته تسير وراءه ، فقال ساخراً. « هنا أيضاً يركب الرجل وتسير المرأة كما يفعل الفلاحون فى وطنى ». واقترب من الرجل ليسأله عن السبب فى ذلك ، فلما وقف أمامه وجده فاتحاً عينيه ولا يتحرك. فحسبه مريضاً لا يقدر على الحركة ، فوضع أصبعه فى أنف الحمار فلم يتحرك، ثم أراد أن يضع أصابعه فى شعر رقبته ولكنه لم يقدر ، لأنه وجد الشعر حجرياً جامداً. فتعجب من ذلك ونظر حوله فوجد كل من فى الميدان واقفين لا يتحركون. فشعر بشىء من الخوف ، ولكنه راجع نفسه وقال : « إن الحجارة لا تؤذى ». وسار فى الطريق يتلفت إلى اليمين وإلى الشمال حتى وصل إلى السوق ، فوجد زحاماً شديداً ، ولكن كل من فيه لا يتحرك، فالرجل الذى يميل لشراء بطيخة لا يزال مائلا ، والبطيخة فى يده، والمرأة التى تبيع الدجاج ترفع يدها والدجاجة فيها ، وهكذا . . . فما زال يسير من شارع إلى شارع حتى وصل إلى قصر عظيم مبنى بالمرمر الأبيض، ووجد عند بابه فرساناً فوق الخيل ، ومعهم الرماح الطويلة ؛ فقال إن هذا القصر لا بد أن يكون قصر السلطان؛ لأنه قصر عظيم؛ ولكنه وجد كل من فى فناء القصر وقوفاً لا يتحركون. فعلم أن هذه المدينة كلها لا يسكنها إلا شعب من الحجارة لا يتحرك أحد منهم، وأسف لذلك حتى

كاد يبكي. وأسرع عائداً من حيث جاء خوف أن يصير حجراً كسائر من هناك ؛ لأنه كان يحب أن يبقى إنساناً يسير أينما يريد ، ويتحرك ويتكلم فيقول ما يشاء ، ويأكل ويشرب ويلعب كما يهوى . وأسرع فى مشيه حتى خرج من الباب الوردى اللون ؛ ثم وقف وتنفس تنفساً عميقاً ليتأكد من أنه ما زال حيًّا ، وتكلم لكى يسمع صوت نفسه فقال :

ـ إنك تحمد الله يا عمرون على أنك حى حتى وإن ناداك الناس قائلين « يا عقلة الأصبع » ، فهذا أحسن بكثير من أن تكون حجراً .

ومشى ببطء يفكر فى صديقه أربعة وثلاثين ، الذى أخبره عن البلد المسحور الذى يذهب إليه الساحر كل عام بالحيوانات المسكينة التى معه ، لكى يجعلها حجارة تنتظر حتى يدعوها إليه بالبوق الذى معه . وخشى أن يكون قد أخذه معه ليجعله حجراً مثلها ، وعند ذلك تذكر قول جدته العزيزة التى كثيراً ما كانت تنصحه أن لا يأمن دائماً للناس الذين يبتسمون له ، لأن منهم الماكر الذى يريد أن يخدع غيره ، مثل هذا الساحر الذى كان يبتسم للأولاد ويظهر لهم أعاجيبه لكى يخدعهم كما خدعه ؛ وربما كان الولد والبنت اللذين رآهما واقفين جامدين فى الميدان قد أخذهما الساحر حينما كانا ذاهبين إلى المدرسة، وحملهما إلى هذه المدينة ، وحولهما إلى

حجرين صامتين . وما زال سائراً يفكر فى كل ذلك حتى وصل إلى الشق الذى بين الصخور فجلس على صخرة يفكر حزيناً فى طريقة للخلاص من الساحر وظلمه .



٨

نظر عمرون أمامه فلم يجد سوى الصخور والوادى والماء يجرى فوق الحجارة البيضاء ، ثم نظر إلى أسفل فرأى البحيرة اللامعة ؛ وظهرت له هذه المناظر كلها قبيحة لأنها تحيط بمدينة مسحورة ، فَقَدَ أهلها الحياة. وسأل نفسه : هل يقدر على أن يبقى بين هذه الصخور ، فيعيش فيها كما تعيش الأرانب والغزلان ، ويترك هذه المدينة المسكينة وكل أهلها وحيواناتها تقاسى الشقاء ، وهى حجارة صامتة جامدة ؟ ثم تذكر قول الساحر عند ما وصف له الأرض وما فيها من سباع ونمور وضباع وذئاب وثعالب ، فعرف أنه لا يقدر أن يعيش هناك وحده ، فإن الإنسان لا يمكنه أن يستغنى عن إخوانه بنى آدم .

وفيما كان يفكر فى هذا أحس يداً صغيرة تلمس ركبته . فنظر إلى أسفل الحجر ، فوجد الأرنب أربعة وثلاثين على قدميه يحييه بيده اليمنى . فوثب على قدميه مسروراً ، وفتح ذراعيه كأنه يقابل صديقاً عزيزاً ؛ ثم جلس على ركبتيه ، وأخذ الأرنب بين ذراعيه ، وضمه إلى صدره قائلا :

ـ تعال أيها الصديق ، فإنى فى شوق إليك .

فعانقه الأرنب بشوق ، وجعل يربت على ظهره بكفيه ، وقال :

ـ إننى بحثت عنك فى كل مكان حتّى اهتديت إليك أخيراً .

فسأله عمرون : وكيف اهتديت إلى ؟

فقال الأرنب : اهتديت برائحتك .

فقال عمرون : وهل لى رائحة ؟ أهى مثل رائحتك ؟

فقال الأرنب ضاحكاً : أبداً . هى تشبه رائحة الخروع .

وكان عمرون يكره شربة زيت الخروع فقال غاضباً :

ـ أهكذا تقول عن رائحتى ؟

فقال الأرنب : لست أقصد إلا أن أصف رائحتك يا عزيزى .

فقال عمرون : أتسمح لى أن أصف رائحتك ؟

فقال الأرنب : وهل يقدر أنفك على أن يشم ؟ إنى لاحظت أنك لا تقدر على أن تميز أحداً إلا إذا رأيته بعينك . فأنا واقف هنا مدة طويلة ، وأنت لا تشعر بى ، حتّى لمست ركبتك بيدى .

فقال عمرون : على كل حال أنا لا أحب رائحة الخروع . وقد شربت مرة زيت الخروع فى اللبن فكرهت اللبن بعد ذلك طول عمرى .

فقال الأرنب : لست أعرف زيت الخروع . وإنما أقول إن رائحتك تشبه الخروع الذى له ورق عريض مثل المروحة ، وله زهر أحمر ظريف .



فقال عمرون باسماً : هذا شيء آخر . هذه شجرة الخروع . ولكن قل لى كيف عبرت الشق الواسع ؟

فقال الأرنب : قفزت فوقه هكذا . . .

ثم جرى ووثب بخفة فوق الشق فصار فى لمح البصر فى الناحية الأخرى ؛ ثم وثب عائداً ، فصار عند قدمى عمرون . . .

فنظر إليه عمرون باحترام ، وتمنى لو كان يقدر أن يقفز مثله .

ثم قال له : هل تحب المسابقة ؟

فتعجب الأرنب من ذلك السؤال ولكنه قال : هى تسلية ظريفة .

فقال عمرون ضاحكاً : هل حقيقة أنك سابقت السلحفاة مرة ؟ وهل صحيح أنها سبقتك ؟

فصاح الأرنب : أنا ؟ هذا غير صحيح .

فقال عمرون : هكذا قرأت فى الكتاب .

فقال الأرنب : وما ذلك الكتاب ؟

فقال عمرون : عندنا شيء يسمى الكتاب ، وهو عبارة عن شيء نقرأ فيه ثم ننام .

فقال الأرنب : ولكنى أنام إذا أردت أن أنام فلا حاجة بى إلى الكتاب .

فقال عمرون ضاحكاً : ألا تحب القراءة يا عزيزى ؟

فقال الأرنب : هل هى تشبه البرسيم ؟ أنا أحب البرسيم يا سيدى .

فقال عمرون وهو يقهقه : لا ، لا . أبداً . أما رأيت ورقة فى عمرك ؟

فقال الأرنب : نعم . نعم . رأيت ورقاً كثيراً قريباً من بيت الساحر فى صندوق القمامة ، وكان بعض فقراء المعز يأكلون منه بينما كان بعض فقراء الأولاد يأكلون قشر البطيخ الذى معه .

فقال عمرون حزيناً : مساكين هؤلاء الفقراء .

فقال الأرنب : وهل تحب أنت هذا الورق ؟

فقال عمرون : لا ، لا . أحب القراءة فقط إذا كانت مسلية .

فهز الأرنب رأسه غير فاهم وقال : ليتنى أرى بعض هذه القراءة لأعرف طعمها .

فضحك عمرون بصوت عال وقال : إنك أرنب يا صديقى ولا يمكنك أن تفهمنى .

فقال الأرنب وهو يرخى أذنيه على رأسه : ولكنى يا عزيزى أفهمك جيداً . فأنت بلا شك عقلة الأصبع .

ومن العجيب أن عمرون لم يغضب عند ذلك ، بل مسح على رأس الأرنب بعطف وقال له :

— هل رأيت هذه المدينة ؟

وأشار إلى باب المدينة المسحورة .

فارتعد الأرنب من الخوف ونظر نحو الباب الوردى اللون وقال :

— لا تذكر هذه المدينة . إنى لا أحب أن أراها . بل إنى لم أر إلا بابها فقط ؛ فإذا دخلت إليها لم أشعر بشىء ، لأنى أصير حجراً جامداً .

ثم نظر حوله فى خوف وقال :

— إنه يبحث عنك . هذا الساحر يبحث عنك .

فصاح عمرون : يبحث عنى ؟

فهز الأرنب رأسه وقال : نعم . إنه رجل سفاك للدماء . رأيته بعينى يأكل زميلى .

فقال عمرون ضاحكاً : أليس هو أرنباً ؟

فتأخر الأرنب إلى الوراء وقال غاضباً : نعم وهل هذا يليق ؟ وقد رأيته بعينى كذلك يأكل المعزى والدجاج والوز . إنه سفاك للدماء .

فخشى عمرون أن يقول رأيه لصديقه أربعة وثلاثين خوف أن يغضبه ، لأنه كان هو أيضاً يحب أن يأكل الأرانب والمعز والدجاج والوز . فاكتفى بأن قال :

— حقًّا إنه رجل ساحر فظيع .

فقال الأرنب : وأخشى أن أراه يوماً وهو يأكلك .

فقال عمرون فى كبرياء : ولكنى لست أرنباً .

فقال الأرنب : قلت لك إنه يبحث عنك .

فقال عمرون مفكراً : ولماذا ؟

فقال الأرنب : لا أدرى . وأخشى أن يكون قد اشتهى لحمك .
فقال عمرون : ألا تحب أن تهرب منه ؟
فقال الأرنب : لايمكن . لايمكن . إلاإذا أخذت منه العصاوالقوقعة .
فسكت عمرون حيناً ، وجعل يفكر فى طريقة للخلاص من ذلك الساحر ، وامتلأ قلبه خوفاً ، وقال فى نفسه :
ـ ما الذى يمنعه إذا لم يجد أحداً غيرى أن يأكلنى مع طبق من الملوخية ؟
ولما رآه الأرنب ساكتاً قال له :
ـ أراك تفكر حزيناً يا عزيزى .
فقال عمرون : ألا يمكن أن نختفى هنا بين هذه الصخور حتى لا يعثر الساحر علينا ؟
فقال الأرنب : مستحيل .
فسكت عمرون لحظة ، ثم وثب على قدميه وصفق بيديه وصاح قائلا :
ـ عندى فكرة .
فصفق الأرنب بأذنيه وصاح :
ـ وما هى ؟
فقال عمرون ناظراً حوله :
ـ يمكننا أن نحتال فى أن نأخذ منه العصا والقوقعة .

ففتح الأرنب فمه من الدهشة ، حتى بدت أسنانه الأمامية الحادة ، وظهر لسانه الصغير يرتعد ، ثم قال :

ـ أتقدر ؟

فقال عمرون : أتعرف أين يضعهما ؟

فقال الأرنب : يضعهما دائما معاً .

فضحك عمرون من سذاجة الأرنب وقال :

ـ ألا تعرف المكان الذى يضعهما فيه ؟

فقال الأرنب : تماماً .

فقال عمرون : إذن فسر أمامى .

فقال الأرنب وهو يتلفت حوله : ليس الآن . فى الليل . فى الليل .

وما كاد الأرنب يقول هذا حتى وثب إلى أعلى وقال فى خوف .

ـ أتسمع هذا الصوت ؟

ولكن عمرون لم يسمع شيئاً .

فقال الأرنب وهو يصيح فى فزع :

ـ هو صوت القوقعة .

وفى لحظة واحدة لم ير عمرون شيئاً أمامه ، واختفى الأرنب كأن الأرض بلعته .

فجلس عمرون على الصخرة يفكر حزيناً ، وهو فى حيرة شديدة

لا يدرى أين اختفى الأرنب ، وأحس بوحشة رهيبة عند ما رأى نفسه وحيداً ، وأخذ يفكر فيما هو فاعل. وعاد جوفه يقرصه من الجوع ، فقام يبحث عن بعض الأعشاب ليأكلها ، وذهب إلى الشجرة باحثاً عن ثمرة من فاكهتها ، ولكنه وجد أن أغصانها عالية تهتز مع الهواء بعيدة فوق رأسه . فذهب يبحث عن شجرة ثانية ، ولكنها كانت كلها فى الناحية الأخرى من الشق ؛ وما زال سائراً حتى وجد شجرة بعيدة فذهب إليها . وكان فى جزعها عقد تشبه درج السلم ، فصعد فوقها حتى وصل إلى الأغصان العالية . ووجد هناك ثماراً صغيرة جافة تحيط بها أوراق خضراء . فنزع الأوراق وأخرج من بينها شيئاً يشبه البندق ، فكسره بأسنانه ، وأكل النواة التى فيها فوجدها ألذ من البندق واللوز والجوز ، فجلس بين الأغصان يكسر ويأكل ، حتى سمع من تحت الشجرة صوتاً يصيح فى خوف قائلا :

— كان هناك . كان جالساً هناك .

ولم يصدق عينيه عند ما رأى صديقه أربعة وثلاثين واقفاً يرتعد أمام الساحر ، وهو يهدده بسوط من جلد الثعبان فى يده .

وقال له الساحر : إنك أرنب خائن . أنت الذى أخبرته بأسرارى ، ولا بد أن أذبحك اليوم .

فقال الأرنب وهو يبكى ويرتعد : أبداً . أبداً . هو الذى جرنى معه من أذنى .

فقال الساحر : ومن أخبره عن البلد أيها الخبيث ؟

فقال الأرنب فى تذلل : أبداً . أبداً . هو الذى سألنى . هو الذى سألنى .

فصاح الساحر فى وحشية : اخرس أيها الخبيث ، وقل لى أين هو ؟ أنت تقدر على أن تشم رائحته .

فوقف الأرنب صامتاً وجعل يشم بأنفه فى كل جهة ثم قال : إن رائحته كريهة وقد سدت أنفى ، فلا أقدر على معرفة مكانه .

فاغتاظ عمرون من هذا القول وصاح من فوق الشجرة :

— كذبت أيها الأرنب المنافق . ألم تخبرنى أن رائحتى تشبه رائحة شجرة الخروع ذات الورق العريض والزهر الأحمر ؟

فرفع الساحر رأسه إلى عمرون ، ونظر إليه بغضب بعينيه الحمراوين حتى كاد يسقط من بين الأغصان ، ثم صاح :

— انزل هنا أيها الولد الشقى ، وإلا قطعت الشجرة وأسقطتك على رأسك.

فخاف عمرون وأخذ ينزل حتى صار قريباً من الأرض ، فمد الساحر يده وأمسكه من رقبته .

فصاح عمرون وهو يهز رجليه فى الهواء .

— دعنى ولا تمسكنى من قفاى هكذا فانى لست وزة .

فوضعه الساحر على الأرض ونظر إليه فى غيظ وقال له :

— امش ورائى .

ثم مشى وسار عمرون وراءه والأرنب يقفز بجانبه ، فقال عليه عمرون

وقال له هامساً :

ـــ هل يليق أن تقول إن رائحتى كريهة ؟ أهكذا يقول الصديق عن صديقه ؟

فقال الأرنب هامساً : لا تتكلم الآن . كنت أحاول أن أنجيك منه.

فلاحظ الساحر أنهما يتكلمان بصوت منخفض فصاح فيهما : اسكتا أيها الشقيان .

ثم مال فحمل الأرنب من أذنيه وسار به وهو يرتعد من الخوف .

فوقف عمرون ناظراً إلى الساحر وقال له فى غضب :

ـــ أحب أن أعرف إلى أين أنت ذاهب بنا ؟

فلم يجبه الساحر بل مد يده إلى كتفه وأراد أن يجره ، فهز عمرون نفسه حتى تخلص منه ، ووقف وضرب الأرض بقدميه قائلا :

ـــ دعنى أيها الساحر فانى ولد من بنى آدم ، ولا أسمح لك . . . .

فضحك الساحر وقال :

ـــ إذا كنت لا تسمح لى فأنا أسمح لنفسى .

ثم جره من كتفه بعنف ، وكانت يده قاسية مثل الحديد ، فلم يقدر عمرون على التخلص منها ، وسار إلى جانبه يفتح رجليه فى خطواته إلى آخرها .

ولما وصل الساحر إلى الشق حمل عمرون فى يده اليمنى وحمل الأرنب فى يده اليسرى ثم قفز حتى وصل إلى الناحية الثانية ، ووضع الأرنب وعمرون أمامه وقال :

ـ الآن سيرا أمامى .

فسلم عمرون أمره، وسار أمام الساحر بعيداً عن الأرنب ، ولم يتكلم خوف أن يحمله الساحر من قفاه أو يجره من كتفه. وأخيراً وصلوا إلى الخيمة ، وكان أمامهما مائدة عظيمة فوقها أطباق كثيرة من الذهب ، وتفوح منها روائح البهار ، حتى شعر عمرون بأن ريقه يجرى كالصنبور . فلم ينتظر شيئاً ، وأسرع إلى المائدة فجلس إلى جانبها وأخذ يأكل ، وكان طعاماً لذيذاً .

ثم تذكر أنه كان يجب عليه أن ينتظر حتى يجلس مع الساحر والأرنب ، وأحس بالخجل فأرجع يده ، وسكت عن الأكل قائلا :

ـ أنا آسف . تفضلوا .

فجلس الساحر إلى جانبه وأشار إلى الأرنب بالسوط قائلا :

ـ اذهب أنت إلى الحظيرة .

فقفز الأرنب وقد أرخى أذنيه على ظهره حزيناً ، وغاب عن الأنظار . وأحس عمرون برحمة شديدة له حتى إن الطعام وقف فى حلقه ، ولم ينزل ، حتى شرب كوبين من الماء .

٩

ذهب عمرون – بعد أن تناول الطعام – إلى غرفته فى السفينة ليستريح من التعب ، ونام نوماً عميقاً ، فلم يحس شيئاً حتى سمع صوتاً يناديه :

– عقلة الأصبع . عقلة الأصبع .

فقام ونظر حوله فلم يجد أحداً . فظن أنه كان يحلم ، وأراد أن يعود إلى النوم ولكن الصوت رجع قائلا : عقلة الأصبع .

فصاح فى غضب : من هذا ؟

فقال الصوت : أنا ، أنا خمسة .

فقال عمرون : ومن أنت أيها الخمسة ؟ هل بيننا مزاح ؟ أيليق أن تنادينى قائلا « عقلة الأصبع ؟ » .

فقال الصوت : هكذا أخبرنى أربعة وثلاثون .

فقام عمرون يبحث فى أرض الغرفة حتى رأى ذنباً يهتز من تحت لوح خشب . . . . .

فمال عليه ليمسكه ولكنه خاف أن يكون فأراً خبيثاً فيعضه . وعند ذلك أخرج الفأر رأسه فى احتراس وقال : هس . لا ترفع صوتك .

فسكت عمرون مع شدة الغيظ ، فقال الفأر هامساً : أرسلنى أربعة وثلاثون ، وهو يقسم لك بشوارب والده وشوارب والدك أيضاً . . .

فصاح عمرون : هذه وقاحة . لا أسمح لأحد أن يقول ذلك .

فقال الفأر كأنه لم يسمعه : هو يقسم بأنه كان يشتمك أمام الساحر حتى يدارى عليك ، مع أنه كان يعرف أنك جالس تأكل البندق فوق الشجرة .

فقال عمرون غاضباً : ألم يقل إن رائحتى كريهة ؟

فقال الفأر : أنت أحمق أيها العقلة .

فصاح عمرون فى غيظ : إننى لا أسمح لأحد أن يقول لى هذا . ألا تسمع ؟

فقال الفأر ضاحكاً : هس أيها الأحمق . إن الغضب هو الذى أنزلك من فوق الشجرة .

فتذكر عمرون ما حدث ، وبلع غيظه ، لأنه عرف أن الفأر يقول الحق . وقد كانت جدته دائماً تنصحه بالحلم ، وتقول له إن الغضب يجعل الإنسان عرضة للخطأ . فقال للفأر : أرجوك ألا تشتمنى .

فقال الفأر : بقدر الإمكان يا عزيزى . اسمع ولا ترفع صوتك . اسمع . لقد أمرنى أربعة وثلاثون أن أبحث لك عن العصا والقوقعة .



فصاح عمرون فى فرح : وهل وجدتهما ؟

فقال الفأر : كن صبوراً وانتظر حتى تسمع . عندى سر عظيم .

فأراد عمرون أن يرد غاضباً ، ولكنه فضل أن يسمع كلام الفأر فسكت .

فقال الفأر : بحثت عنهما فى السفينة فلم أجدهما .

فقال عمرون ساخراً : ما شاء الله . أهذا هو السر العظيم الذى جئت تخبرنى به ؟

فقال الفأر : انتظر حتى أتم كلامى أيها ا . . . .

فصاح عمرون مقاطعاً : لا تشتم .

فقال الفأر ضاحكاً : لا تغضب يا عقلة الأصبع .

فقال عمرون فى أشد الغضب : لو تكلمت كلمة أخرى حطمت رأسك .

فأسرع الفأر واختفى تحت لوح الخشب ، وقال وهو يرتعد :

ـــ إنى أمزح يا عزيزى .

فقال عمرون وقد هدأ : تعال يا حضرة الفأر . ولكن أرجوك أن تقول لى يا عمرون .

فهز الفأر رأسه وقال ساخراً : عمرون ؟ وما معنى عمرون ؟

فقال عمرون : وهل يجب أن يكون للأسماء معنى ؟ إنك أحمق يا سيدى .

فضحك الفأر حتى اهتز ذيله مثل لسان الجرس الكهربى وقال :

ـــ أنت عقلة أصبع ظريف . وقد أقسمت لصديقى أربعة وثلاثين

أن أخلص لك . أقسمت له بشوارب أبى وشوارب أبيه .

فقال عمرون ضاحكاً : تفضل . تكلم .

فقال الفأر : لما بحثت فى كل مكان فلم أجد شيئاً ، شممت رائحة جبن عن بعد فى وسط البحيرة .

فقال عمرون ساخراً : عجيبة . وما دخل الجبن هنا ؟

فقال الفأر : نعم عجيبة . فإن البحيرة لا تحتوى على جبن، والسمك لا يحلب لبناً .

فقال عمرون : طبعاً لا يحلب السمك لبناً .

ثم أراد أن يظهر علمه فقال :

ـ اسمع أيها الفأر . إننا نتعلم فى المدرسة أسراراً عظيمة ، فالسمك من الحيوانات التى تضع بيضاً ، ولا ترضع أطفالها ، بل تترك بيضها فى الماء حتى يفقس ويعوم ويأكل بنفسه ، ولكنها لا تحلب لبناً مثل الحيوانات ذات الثدى .

فقال الفأر : كلام لا أفهمه. هل هذه هى الألفاظ التى تسميها أسراراً ؟

ثم أسرع واختفى تحت لوح الخشب ، وأطل بطرف رأسه فى حذر . فلما رأى عمرون يضحك خرج وقال :

ـ إنك عقلة أصبع ظريف . وأنت تعرف أن البحيرة إذا لم يكن فيها إلا السمك ، فلابد أن رائحة الجبن تكون من شىء آخر غير السمك.

فقال عمرون ضاحكاً : عظيم .

فقال الفأر : فذهبت إلى البحيرة ، وسبحت فيها ، وجعلت أشم رائحة كل شيء . أتدرى ماذا وجدت ؟

فقال عمرون : أوجدت قطعة جبن ؟

فقال الفأر ضاحكاً : لا . أنت لا تعرف شيئاً .

ولكن عمرون لم يغضب لأنه تعود حديث الفأر ، وعرف أن هذه هى طريقته . وهو على كل حال ظريف فى قوله ، فسكت وانتظر .

فقال الفأر : أتدرى ماذا وجدت ؟

فقال عمرون : لم تجد قطعة جبن .

فقال الفأر : عظيم . أنت ذكى جداً . لم أجد قطعة جبن فى أية جهة فى البحيرة .

فقال عمرون متضايقاً : نعم . نعم ، ثم ماذا ؟

فقال الفأر : فأخذت أبحث حتى عثرت على جزيرة ، فصعدت فوقها أشم أرضها وحجارتها ونباتها وكل شيء فيها . أتدرى ماذا وجدت ؟

فقال عمرون : لا بد أنك وجدت قطعة جبن هذه المرة .

فضحك الفأر وهو يهز ذيله من الضحك وقال : لا لم أجد جبناً أيها الأحمق .

وكاد صبر عمرون يفرغ ، ولاحظ الفأر ذلك فقال له :

— اصبر يا عزيزى . لما لم أجد جبناً وجدت جدار بيت صغير ، وصعدت فوقه فوجدت أن رائحة الجبن تفوح من ورائه . فدخلت من

ثقب فى النافذة ، وما زلت أبحث . . . أتدرى ماذا وجدت ؟
فقال عمرون فى غيظ : لا شك أنك وجدت قطعة جبن معفنة .
فقام الفأر حتّى وقف على رجليه وقال :
— هذا كذب ، كانت لذيذة جداً .

فقال عمرون متضايقاً : وماذا يهمنى من ذلك كله .
فقال الفأر ضاحكاً : اصبر يا عزيزى . تقول ماذا يهمك ؟ خفض صوتك قليلا أيها ا . . . .

فصاح عمرون : أرجوك أن تخرج من هنا فإنك تسخر منى .
فصاح الفأر : أبداً . أبداً . فإنى أقسمت لصديقى أن أخلص لك . وأخيراً أكلت قطعة الجبن ، ثم التفت حولى فوجدت هناك عصا الساحر والقوقعة .

فوثب عمرون على قدميه وصفق بيديه وصاح : إنك فأر شجاع .
فقال الفأر : هس ، لا ترفع صوتك . أتحب أن تجىء معى لأدلك على البيت والعصا والقوقعة ؟

فقال عمرون : بكل تأكيد .

فقال الفأر وهو يسير أمامه : تعال لترى . إنها عصا مدهشة . لقد رأيت الساحر بعينى وهو يمسكها بيده عند ما غضب على العبد الأسود ، ورفعها إلى فوق وأشار بها إلى وجه العبد قائلا :

«شوق بوق. شوق بوق. فوق تحت وتحت فوق» أتدرى ماذا رأيت؟

فقال عمرون : لا .

فقال الفأر : رأيت العبد ينقلب فى الهواء ، وتنغرز رأسه فى الأرض مثل البصلة ، وترتفع رجلاه فى الهواء مثل عود الفجل .

فصاح عمرون قائلا وهو يضحك :

« شوق بوق. شوق بوق. فوق تحت وتحت فوق . » هذه طريفة جداً .

فاختفى الفأر تحت لوح خشب وصاح : هس، خفض صوتك أيها الأحمق . فلو سمع الساحر هذه الكلمة لضعنا .

فقال عمرون هامساً : لك الحق يا عزيزى. ولكن كيف نصل إلى الجزيرة ؟

فوقف الفأر طويلا عن الكلام ، ووقف عمرون ينظر إليه ولا يدرى كيف يمكن الفأر أن يدبر طريقة للعبور إلى الجزيرة .



١٠

وأخيراً قال الفأر : هل تعرف العوم ؟

فقال عمرون : لا ، فإن جدتى كانت تمنعنى من نزول الماء .

فقال الفأر : أيمكنك أن تركب فوق ظهرى ؟

فقال عمرون : هذا مستحيل . إننا نغرق جميعاً .

فقال الفأر : لا . أبداً . تغرق أنت وأعوم أنا .

فقال عمرون : وما الفائدة ؟ ألا نأخذ هذا القارب ؟

وأشار إلى القارب الصغير الذى يسير وراء السفينة .

فقال الفأر : إذاً يرانا الساحر .

فقال عمرون : ألا تقدر أنت أن تذهب وتأتى بالعصا ؟

فقال الفأر ضاحكاً : يمكننى أن آكلها وآتى بها فى جوفى .

فقال عمرون فى غيظ : دع السخرية قلت لك .

وعند ذلك حرك الفأر أذنيه وفتح فمه مقهقهاً وقال :

ـ لقد وجدتها . لقد وجدتها .

فقال عمرون : أين وجدتها ؟ ألا تقول إنها هناك فى الجزيرة ؟

فقال الفأر : وجدت فكرة .

فقال عمرون : قل . تكلم .

فقال الفأر : لى بجعة صديقة ، وهى تتمنى أن تخدمنى لأننى أنجيتها مرة من الغرق ، عند ما أغمى عليها فى وسط البحيرة ، فوضعت ذيلى فى أنفها فعطست وأفاقت حالا .

فقال عمرون : دع الثرثرة وقل أين هى ؟

فأشار الفأر بأصبع يده قائلا :

— تعال . ثم سار وعمرون يسير وراءه حتى وصلا إلى البحيرة ؛ وكانت البجعة تستحم فى جانب منها ، فناداها الفأر من بعيد . فأجابت البجعة :

— انتظر حتى أنتهى من استحمامى .

فوقف الفأر وأشار إلى عمرون أن يقف بعيداً ، حتى انتهت البجعة من استحمامها ، فأسرعت نحوهما وأمالت رقبتها تحييهما .

فقال لها الفأر : هذا صديقى عقلة الأصبع .

فقالت البجعة فى أدب : لست أعرفه .

فقال الفأر : ونريد أن نذهب إلى البيت الصغير الذى فى الجزيرة لنحضر عصا الساحر وقوقعته .

فقالت البجعة بصوت جميل : أتريد أن تسرقها ؟ ومع ذلك فأنا



مدينة لك بحياتى يا سيدى الفأر ، وسأحفظ سركما لأننى سيدة والسيدات يعرفن كيف يحفظن الأسرار .

فكاد عمرون يضحك ؛ ولكنه وضع يده على فمه وأدار وجهه .

وقال الفأر للبجعة :

أيمكنك أن تحملى عقلة الأصبع على ظهرك ؟

فقالت البجعة فى غضب : أنا لا أحمل أحداً . هذا غير لائق . لست ناقة ولا فرساً .

وكادت تذهب لولا أن تقدم عمرون نحوها وانحنى قائلا :

ـــ لا تؤاخذينى يا سيدتى . هل عندك طريقة للذهاب إلى الجزيرة ؟

فهزت البجعة ذيلها وقالت : يمكنك يا سيدى أن تمسك قدمى اليمنى وتترك نفسك على وجه الماء مثل قطعة من الخشب .

فقال الفأر فى فرح : هذا عظيم .

ولكن عمرون قال خائفاً : هل أنت متأكدة من قدرتك ؟

فقالت البجعة بكبرياء : ما اسمك يا سيدى ؟

فقال الفأر : هو عقلة الأصبع .

فضحكت البجعة حتى سمع ضِحكتها عالياً وقالت :

ـــ عقلة الأصبع . إنه اسم ظريف . تعال يا سيدى فأمسك قدمى اليمنى .

ولم تنتظر بل نزلت إلى البحيرة ومدت له قدمها . فخجل عمرون أن يظهر الخوف ، ونزل إلى الماء ، ومد يده فقبض على قدم البجعة ، وسطح نفسه على وجه الماء .

فاندفعت البجعة تجذف بقدمها اليسرى . وما هى إلا دقيقة حتى كانت فى وسط البحيرة ، وعمرون وراءها كأنه حوت مربوط وراء سفينة صياد . وكان الفأر يسبح من ورائهما يغنى ، حتى وصلوا إلى الجزيرة ووقفوا أمام باب البيت .

فقال الفأر وهو يدخل من شق النافذة :

ـ تعالوا ورائى .

فصاحت البجعة : إنك مضحك يا سيدى الفأر . كيف ندخل من هذا الثقب ؟

وقال عمرون فى ضجر : ليس هذا وقت المزاح أيها الفأرا . . . .

ثم تذكر أنه فى حضرة البجعة ، فلم ينطق بالكلمة التى أراد أن يشتم الفأر بها .

فصاح الفأر بغيظ : ومن يحمل العصا والقوقعة إذن ؟

فوقف عمرون والبجعة ينظر أحدهما إلى الآخر فى يأس ، ولكن الفأر صاح قائلا :

ـ انتظر حتى أقرض عقب الباب ، ويمكنكما أن تستريحا فى الظل.

فقالت البجعة : هذا حسن ، وسأنزل أنا إلى البحيرة لأتنزه ساعة .

فصاح عمرون : وكيف نعود إلى البر يا سيدتى ؟

فقالت البجعة : لا تخف يا سيدى . فإنى بجعة محترمة ، وسأعود إليكما بعد قليل ، وثق أنى لن أخبر أحداً بسركما .

ونزلت إلى الماء . وما هى إلا دقيقة حتى كانت فى وسط البحيرة .

فجلس عمرون فى حيرة وحزن أمام الباب ، وكان يسمع صوت أسنان الفأر وهو يقرض عقب الباب بنشاط . ولكن مضت ساعة طويلة والفأر لا يزال يقرض ، حتى خاف عمرون أن يضيع كل تعبه ؛ ويأتى الساحر إليه فيفسد عليه حيلته . وامتلأ قلبه بالخوف والشكوك ، فربما ذهبت البجعة إلى الساحر فأخبرته بالسر ، مع أنها قالت إنها لن تخبر أحداً . ولكنها سيدة ، وربما تقابل بعض صديقاتها فتسلى نفسها بذكر هذه الحكاية ، وهذا يؤدى إلى ذيوع السر ؛ لأن السر إذا تعدى الثلاثة أصبح شائعاً للجميع .

وفيما كان عمرون غارقاً فى مخاوفه ، ظهر أنف الفأر من عقب الباب ، ثم ظهر وجهه كله . ثم خرج الفأر من الثقب ، ووقف على رجليه قائلا :

— أرأيت ؟ إنه ثقب يسع حملا كبيراً .

فقال عمرون : اذهب وهات العصا والقوقعة .

فأسرع الفأر فدخل الحجرة ، وبعد قليل سمعه عمرون يصيح قائلا :

— أتقدر أن تمد يدك من الثقب ؟

فمد عمرون أصابعه من الثقب ، وشعر بطرف العصا فأخذها بين أصبعيه ، وجذبها فخرجت من الشق . وأمسكها بيده وجعل يهزها مسروراً. ولكنه تذكر أن القوقعة لا تزال هناك ولا يتسع الثقب لإخراجها .

وخرج إليه الفأر وهو يرقص وقال له : أرأيت أخيراً ماذا يقدر الفأر أن يصنع ؟

فقال عمرون حائراً : ولكن ما الفائدة ؟

فقال الفأر فى غيظ : إنك أبله يا عقلة الأصبع . أليست العصا فى يدك ؟ ارفعها . حركها . كلمها .

فأخذ عمرون العصا فى يده وقال لها :

ــ أيتها العصا . كيف حالك أيتها العصا ؟

ولكنه لم يسمع جواباً فصاح قائلا : إنها لا تجيب . لا شك أنها ليست هى العصا .

فلف الفأر ذيله وجلس عليه وقال فى حزن :

ــ إنها هى العصا . لقد رأيتها بعينى فى يد الساحر وهو يقول للعبد : « شوق بوق » .

فتذكر عمرون هذه الكلمة ورفع العصا بسرعة ونظر إلى الفأر قائلا :

ــ « شوق بوق . شوق بوق . فوق تحت وتحت فوق » .

فإذا بالفأر يقفز فى الهواء وثبة عالية ، ثم ينزل إلى الأرض برأسه

فينغرز فى الرمل ، وذيله يهتز فى الهواء مثل عود البصل .

فوقف عمرون يصفق بيديه ويصيح ضاحكاً ؛ وصاح الفأر :

— النجدة النجدة . هذا لا يليق يا صديقى .

فرفع عمرون العصا وقال مرة أخرى : شوق بوق . . . . . .

فقفز الفأر ونزل واقفاً على رجليه وقال عاتباً :

— أهذا جزائى ؟

وفى هذه اللحظة رأى عمرون شيئاً مقبلا فى البحيرة ، وشعر بأن قلبه نزل مسرعاً إلى أسفل كعبه ؛ فقد رأى الساحر آتياً فى القارب يجذف بسرعة ، والبجعة إلى جانب القارب تحدثه .

وبعد قليل كان الساحر يسير على خطوات من عمرون ، وأسرع الفأر فدخل من ثقب الباب ، واختفى وهو يصيح من الفزع . فاهتزت ركبتا عمرون من الخوف ، وصارت يداه تتحركان إلى اليمين والشمال مثل الدمية التى تصفق ، والعصا السحرية فى يمينه لا تصنع شيئاً .

وحاول عمرون أن يجرى ، ولكن رجليه لم تطاوعاه . فوقف فى مكانه مثل الشجرة . وأخيراً قال فى نفسه : « مالى أقف هكذا مع أن العصا فى يدى ؟ ولو أخذها الساحر منى لقال لى شوق بوق ، وغرزنى فى الأرض » وفى هذه اللحظة صاح قائلا : شوق بوق . شوق بوق . فوق تحت وتحت فوق .

وما كان أشد دهشته عند ما رأى الساحر ينقلب فى الهواء مثل

البهلوان ؟ وينزل برأسه إلى الأرض فينغرز فى الرمل مثل النخلة ، ورجلاه تتحركان مثل رأس شجرة الدوم ذات الشعبتين . وتدلت من وسط الساحر ربطتان إلى أسفل مثل سباطتين .

ولما رأى عمرون أن الساحر أصبح مغروزاً فى الأرض ، وثب إلى أعلى وجعل يدور حول نفسه ويصفق من الفرح ويقول « شوق بوق . شوق بوق . فوق تحت وتحت فوق . » وفى الحال رأى الساحر يثب مرة أخرى فى الهواء مثل البهلوان ، ويقف على قدميه . فعرف غلطته سريعاً . وفى لمح البصر أسرع قائلا :

— شوق بوق . . .

فانقلب الساحر قبل أن يصل إليه ، ووثب إلى أعلى مرة ثالثة وانغرز فى الرمل برأسه ، وسمع صوت « طق » عند ما اصطدم رأسه بالأرض .

فوقف عمرون وتنفس ومسح العرق الذى بلله ، وجعل يروح بيده على وجهه من شدة الحرارة التى أحسها .

وجاء الفأر إليه مسرعاً فوقف إلى جانبه ، وجعل ينظر من تحت إلى وجه الساحر ويضحك ، ويضحك ، حتى صار ذيله يهتز مثل ذراع الجرس الكهربى .

١١

وقال عمرون للفأر : بقى علينا أن نحضر القوقعة .

فقال الفأر : هى مثل الجبل ولا أقدر على حملها .

فذهب عمرون نحو باب البيت ، ونظر من الثقب فرآها هناك تلمع فى ركن الحجرة .

ففكر قليلا ثم قال : وما فائدة هذه العصا ؟ أليس لها فائدة إلا شوق بوق ؟

فصاح الفأر : اسكت أيها الأحمق . لا تذكر هذه الكلمة لئلا يعود الساحر واقفاً على قدميه .

فسكت عمرون ووقف حائراً .

فقال له الفأر : لو كنت مثلك لعرفت كيف أصنع بالعصا .

فتحمس عمرون وذهب نحو باب البيت وهز العصا نحوه قائلا :

ـ يا باب البيت الصغير : افتح القفل وحل المسامير وأدخل الساحر الكبير !

فإذا بالباب يدور حول نفسه فى هدوء حتى انفتح . فدخل عمرون يجرى إلى القوقعة ، فحملها تحت إبطه ، وجرى نحو القارب ، والفأر يجرى بين رجليه . ولما مر بالساحر قال له :

— نهارك سعيد يا حضرة الساحر . انتظرنا هنا حتى نعود .

ولما وصلا إلى القارب قابلتهما البجعة فقالت لهما :

— إنى آسفة حقًّا ، فقد كدت أسبب لكما الهلاك بقلة احتراسى . أنا آسفة لأن البطة صديقتى سألتنى ، فقلت لها السر ، ووعدتنى أن تحفظه . ثم سألتها الوزة فقالته لها ، ووعدتها أن تحفظه . وصاحت الوزة حتى سمعها الساحر ، فأتى يسألها عن السر ، فقالت الوزة إن البطة قالت لها إن البجعة قالت لها . فجاء يسألنى فلم أقدر أن أكذب ، لأننى بجعة شريفة ولا أحب الكذب . وعلى كل حال فأنا سعيدة يا صديق الفأر لأن الساحر صار مغروزاً هناك . ثم هزت ذيلها وسبحت بعيداً . وما هى إلا دقيقة حتى كانت فى وسط البحيرة .

ولم يهتم عمرون كثيراً بقول البجعة ، وحمد الله على النجاة من الساحر ، وأخذ مجدافى القارب ، وجذبهما إلى الوراء ، فأسرع القارب إلى الأمام حتى وصل إلى البر . وكان أول شىء اهتم به هو أن يرى صديقه الأرنب أربعة وثلاثين . فأسرع إلى السفينة فصعد عليها ، وجرى فوق السلم حتى وصل إلى السطح ، وذهب إلى حظيرة الأرانب ، وفتح الباب وصاح قائلا :

— أربعة وثلاثون !

ولكنه لم يسمع رداً. فدخل وجعل ينظر فوق الأسرة وتحتها فلم يجد أحداً. فالتفت وراءه فرأى الفأر واقفاً، فقال له: ألا تعرف أين صديقنا الأرنب ؟

فقال الفأر ساخراً : إنك لا تزال أحمق يا عقلة الأصبع مع أن العصا فى يدك والقوقعة تحت إبطك .

فضرب عمرون الأرض بقدمه وصاح :لا أسمح لك .

فقال الفأر : ألا ترى القوقعة تحت إبطك ؟ ولو كان هذا البوق معى لدعوت أكبر أرنب فى لمح البصر .

فرفع عمرون القوقعة ونفخ فيها ، ولكنها لم تخرج صوتاً .

فضحك الفأر ضحكاً شديداً وقال : اسمح لى يا عقلة الأصبع أن أقول إنك . . . .

ولكن عمرون صاح غاضباً : اسكت .

فسكت الفأر واختفى تحت سرير .

فقال عمرون فى غيظ : هل كنت تقدر على أن تخاطب الساحر هكذا ؟

فقال الفأر من تحت السرير : ولكنك لست ساحراً . ألست صديقك؟

فقال عمرون : على الأقل لا أسمح لك أن تشتمنى بعد الآن .

فقال الفأر : ألست صديقك ؟

فنظر عمرون إلى العصا فى يمينه والقوقعة فى يساره وقال فى كبرياء :

ـ صديقى ؟ هل يليق بمثلى أن يكون صديق فأر مثلك ؟
فهز الفأر رأسه حزيناً وقال كأنه يخاطب نفسه :

ـ هكذا قالت البجعة لى . الصداقة لا تكون بين الضعفاء والأقوياء. من يشعر بالقوة يشعر بالكبرياء .

وسمع عمرون قول الفأر ، فحزن وأسف ، وقال معتذراً : لا تؤاخذنى يا عزيزى . ولكنى أرجوك ألا تضيع وقتنا . اذهب إلى الأرنب وابحث عنه .
فقال الفأر : سمعاً وطاعة يا سيدى . ثم ذهب مسرعاً .

وبقى عمرون وحده مدة طويلة ، ولم يعد الفأر إليه ، فنزل إلى الشاطىء ، وسار وحده يتلفت يميناً وشمالا فلم ير أحداً . فندم على أنه أغضب الفأر بكبريائه وقال فى نفسه :

ـ ماذا يفيدنى أن أحمل هذه العصا وهذه القوقعة إذا كانت الدنيا خالية حولى ؟

ومشى والحزن يملأ صدره حتى وصل إلى الوادى الذى فوق الجبل ؛ ثم سار حتى وصل إلى الشق وشعر بجوع شديد فأكل بعض الأعشاب ، ثم ذهب إلى شجرة أخرى فأكل من فاكهتها ، وجلس على صخرة بقرب الباب الكبير الوردى اللون وقال لنفسه :

ـ مافائدة أن أكون ساحراً معى العصا والقوقعة والكل يخافوننى ولا يحبنى أحد؟
ورفع القوقعة فى يده ، ونفخها فلم يسمع منها صوتاً ؛ فقلبها فى يده

فرأى ثقباً آخر فى طرفها الثانى ، فنفخ فيه فإذا بها تخرج صوتاً عظيما رن بين الصخور ، وتردد صداه مراراً حتى ظن أن صوتها سيستمر إلى الأبد .

وفى لحظة واحدة كان حول عمرون جيش عظيم من الأرانب والفيران والمعز والبجع والفراريج ؛ وكلها تخرج آتية إليه من الباب الكبير الوردى اللون . وتزاحمت الحيوانات حوله حتى لم يجد موضعاً لقدمه . فجرب أن ينفخ فى القوقعة مرة أخرى ، فخرج منها صوت طويل رن صداه بين الصخور ، فإذا بالحيوانات تقفز وتجرى وتأتى بحركات مضحكة ، حتى إنه لم يملك نفسه وضحك ضحكاً شديداً كادت جوانبه تنفجر منه . ثم نفخ مرة ثالثة فى القوقعة فإذا بالحيوانات كلها تنقلب فجأة إلى أولاد وبنات ورجال ونساء ، وأخذوا جميعاً يصيحون ، فبعضهم يقول « ماما » وبعضهم يقول « بابا » وبعضهم ينادى إخوته أو أولاده الصغار . فامتلأ قلب عمرون عطفاً عليهم وعرف أن الساحر كان رجلا فظيعاً جداً ، لأنه حرم كل هؤلاء من أهلهم وجعلهم حيوانات ، ثم جعلهم حجارة فى المدينة المسحورة لكى يتمتع هو بألعابه ، ويجمع القروش من عرض أعاجيبه .

وعند ذلك تذكر قول جدته عندما كانت تنصحه أن يكون طيباً لا يؤذى الناس ؛ فإن أفظع بنى آدم من يسخر الآخرين ولا يهتم إلا بنفسه ، ولا يسعى إلا وراء عظمته .

وما زال الحزن يزداد فى صدره حتى بكى ، وصاح هو أيضاً يقول :



« جدتى . جدتى » . . .

وفى هذه اللحظة تقدم إليه طفل فى السابعة من عمره وقال له :

– لا تبك يا صديقى . إنك ما زلت طيباً مع أنك صرت ساحراً . ألا تعرفنى ؟

فنظر عمرون إليه متعجباً وقال :

– إننى لم أرك من قبل .

فضحك الولد وقال : ألا تذكر أربعة وثلاثين ؟

فقام عمرون يسلم عليه بيده وقال له :

– كنت أبحث عنك .

فقال الولد : هكذا قال لى هذا .

وأشار إلى ولد صغير آخر واقف إلى جواره . فنظر عمرون إلى الولد الآخر وقال :

– ومن هذا ؟

فقال الولد الأول : هذا هو خمسة . هو صديقى الفأر .

ففتح عمرون ذراعيه وصاح قائلا : مرحباً .

فتبسم الطفل وأتى إليه ، فسلم عليه وقال بصوت منخفض :

– ألا تذكر أنك قلت لى كلاماً قاسياً ؟

فقال عمرون : ألم أقل لك إنى آسف . أين ذهبت ولم ترجع إلى ؟

فقال الولد : وهل تريد أن أرجع إليك وأنت تكلمنى متكبراً ؟ إذا أردت أن تكون ساحراً فظيعاً فلا تنتظر منى مودة .

فوضع عمرون العصا والقوقعة فوق صخرة وأخذ الولدين فى ذراعيه فضمهما بشوق وقال :

ــ علينا أن نسرع إلى المدينة . علينا أن نعيد إليها الحياة .

ثم رفع العصا والقوقعة وسار أمامهما متجهاً نحو المدينة .



١٢

من العجيب أن عمرون سار فى طريقه نحو المدينة ولم يجد الشق فى طريقه ، لأنه كان من صنع الساحر الذى أراد أن يفصل بين المدينة وبين باقى الأرض .

ولما وصل إلى الباب رفع العصا فى يده ، وصار يأمر كل الأشكال الحجرية أن تعود إلى صورتها الأولى ، فتعود كلها إلى الحياة حالا . ومر على البيوت ، وبين الأزقة الضيقة ، فأعاد الحياة إلى كل من فيها حتى وصل إلى الأكواخ الصغيرة التى فى طرف المدينة .

وعاد الجميع إلى أعمالهم ، فالذى كان يبيع من قبل عاد فأتم البيع ، والذى كان يشترى فرغ من الشراء ، والفلاحون الذين جاءوا بالخضراوات والفواكه ذهبوا إلى السوق فباعوها ، واشتروا بثمنها ملابس وسكراً وبنًّا وصابوناً وهكذا . . .

وما زال عمرون يسير والحياة تتحرك وراءه فى كل مكان حتى وصل إلى القصر الكبير فإذا بالخدم والحشم جميعاً يتحركون ، حتى إن السلطان

خرج إلى النافذة وأطل على الميدان الفسيح ، واجتمع الناس لتحيته .

ولما أى السلطان عمرون يسير والناس حوله، وهو يشير بعصاه إلى كل شيء فيعيد إليه الحياة حتى الأشجار والأزهار ، مال على الوزير وقال له :

– أحب أن أرى هذا الولد الهمام .

وقالت الملكة للوزير :

– حاذر أن تزعجه أيها الوزير .

فأسرع الوزير نازلا إليه حتى قرب منه وناداه قائلا :

– هل تسمح يا حضرة الولد الهمام أن تأتى لتقابل عظمة السلطان ؟

فقال عمرون : بكل سرور .

ثم سار ومعه صديقه الولد الأرنب وراء الوزير حتى دخلوا إلى القصر . ولما اقتربوا من إيوان السلطان رأى عمرون الوزير يدخل وينحنى ثم يرجع بظهره وينحنى احتراماً . فدخل إلى الإيوان وفعل مثل الوزير .

وسأله الملك أن يحكى له قصته كلها ، فحكى له كل ما حدث له من أوله إلى آخره .

فقال له السلطان .

– نحن كلنا مدينون لك بحياتنا يا عمرون شاه .

ولما سمع عمرون أن السلطان يناديه قائلا عمرون شاه سر سروراً

عظيماً ، وانحنى حتى وصلت يده إلى الأرض ، ثم تراجع إلى الوراء بظهره وانحنى مرة أخرى وقال :

– هل يسمح لى مولاى بالانصراف ؟

فنظر السلطان إلى الوزير وقال له :

– إنى أمرت بأن يكتب اسم عمرون شاه فى سجل الأمراء ، وجعلته قائداً عامًّا لجيشى فى البر والبحر والهواء .

ثم التفت إلى عمرون وقال له : يسرنى أن تحضر الليلة إلى قصرى فى وليمة عظيمة تكريماً لك .

فانحنى عمرون مرة أخرى وقال : إننى خادمك الأمين يا مولاى . ثم استأذن وانصرف . وسار الوزير وراءه حتى خرج من الإيوان فمال عليه قائلا :

– أتسمح لى أن أرى هذه العصا ؟

وكاد عمرون يمد يده بها ، ولكن صديقه الولد الأرنب غمزه قائلا :

– احترس .

فالتفت عمرون إلى الوزير وقال : لا تؤاخذنى يا سيدى فإنى متعب ولا أقدر على السير إلا بالعصا فى يدى .

ونزل إلى الميدان ، وكان الشعب كله واقفاً فى انتظاره ، فلما أقبل عليهم صاحوا جميعاً :


DIK

ــ يحيا عمرون شاه ، يحيا عمرون شاه !

وحملوه على أكتافهم ، وساروا به فى المدينة والسعادة تشملهم جميعاً، حتى إن عمرون بكى من شدة التأثر ، وتمنى لو رأته جدته العزيزة فى وسط هذا الموكب العظيم .

وتذكر عمرون الساحر الذى تركه مغروزاً برأسه فى الجزيرة ، كما تذكر العبيد الذين لم يرهم منذ ترك السفينة ، وأراد أن يعود إليهم ليخلصهم كما خلص الجميع ، فأخذ القوقعة ونفخ فيها ليدعوهم إليه ، وما كاد صوتها يخرج حتى وجد عمرون أنه قد طار فى الهواء فجأة ، وفتح عينيه فإذا هو ممدد فوق المقعد الحجرى الذى فى الحديقة الواسعة بقرب منزله ، وكانت جدته تصرخ قائلة :

ــ عمرون ولدى ، أين كنت منذ الصباح ؟

فقام عمرون فاتحاً ذراعيه قائلا :

ــ هل أنت هنا يا جدتى العزيزة ؟

فقالت الجدة :

ــ لقد بحثت عنك طويلا يا ولدى . كنت أبحث عنك منذ الصباح.

فقال عمرون وهو يفرك عينيه :

ــ وأين كنت تبحثين عنى ؟

فقالت الجدة :

ـ فى المنزل وفى الحارة وفى الشارع وفى كل مكان . جهزت طعام إفطارك وناديتك فلم تجب . فبحثت عنك ، وبحثت وبحثت .

ثم أخذت تبكى .

فنظر عمرون حوله فى دهشة حتى عرف أنه فى الحديقة العامة القريبة من منزله . فقال :

ـ هذا عجيب . وأين العصا وأين القوقعة ؟

فقالت الجدة وهى تسير نحو المنزل :

ـ أترقد هنا على هذا المقعد الحجرى منذ الصباح وأنا أبحث عنك يا عمرون ؟

فقال عمرون :

ـ لا يا جدتى . لقد كانت رحلة عجيبة .

وأخذ يقص عليها قصته حتى وصلا إلى المنزل ولكن جدته ضحكت كثيراً ومسحت رأسه بعطف وذهبت به إلى المائدة ، فكشفت عنها الغطاء وقالت له :

ـ قد جهزت لك هذه العجوة بالزبد كما طلبت منى بالأمس . اجلس يا ولدى فكل لأنك لم تذق شيئاً من الطعام .

وكان عمرون جائعاً حقًّا فجلس يأكل، ويصف لجدته أنواع الطعام التى كان الساحر يقدمها له فى الأطباق الذهبية ، وكانت الجدة دائماً

تضحك وهو يحدثها ، ولم ينس أن يخبرها عن الموكب العظيم الذى حمله فيه أهل المدينة المسحورة على الأعناق اعترافاً بجميله ، وعن سلطان المدينة الذى سماه عمرون شاه تقديراً لشهامته .

ومنذ ذلك اليوم أصبح عمرون أكثر الأولاد حكمة وعقلا ، يحرص فى كل أفعاله أن يكون جديراً بلقب « عمرون شاه » .



رقم الإيداع		١٩٩١ / ٧٩٢٣
الترقيم الدولى	977 – 02 – 3461 – 3	ISBN

١ / ٩١ / ٢٦١

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)